السمان

الاسلام الصفي

تجليد كتب
صـ الدقر

297.04:Sa18iA

السمّان، محمد عبد الله .

الاسلام المصفّى .

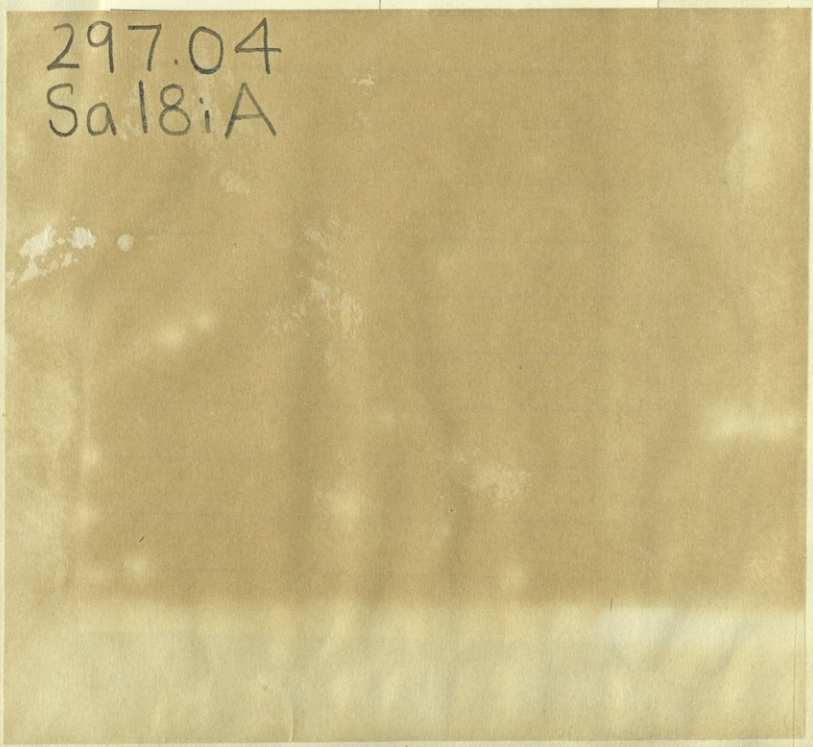

297.04
Sa 18iA
C.1

محمد عبد الله السمان

الإسلام المصفّى

حقوق الطبع محفوظ للمؤلف

الناشر: مكتبة وهبة
١٤ شارع ابراهيم باشا بعابدين

الطبعة الأولى { جمادى الآخرة ١٣٧٣ هـ
مارس ١٩٥٤ م

دار الثناء للطباعة
ابراهيم محمد عيسى
شارع الجيش ت : ٥٠٦٦٤

إهداء

إلى كل مسلم شرح الله صدره للإسلام

فهو على نور من ربه .....

ألا لله الدين الخالص ...

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنها ليست شهوة التأليف هى التى دفعتنى إلى إبراز هـذا المؤلف إلى حيز الوجود ولا إلى إبراز غيره مما سبقه إلى الحياة .

ويعلم الله وحده ، أنى ما ألفت كتاباً ولا أصدرت رسالة ، إلا بعد أن تكونت أفكار كليهما عقيدة رسخت فى أعماق نفسى ، وامتزجت بخواطرى ، وتحولت تدريجياً إلى ثورة نفسية عنيفة ، لم يكن ثمة خلاص منها إلا بإيداع هـذه الأفكار بين دفتى مؤلف يروّح عن أعصابى ، ويستنشق فى الدنيا نسائم الحياة .

لقد تعودت أن أكتب فى مجال السياسة الإسلامية ، وأنا موقن بأن فساد السياسة فى الشعوب المسلمة هو سر نكبتها ، ولو صلحت هذه السياسة لارتفعت قيم الشعوب المسلمة فوق هذا الحضيض الذى تستعذ به وتطمئن إليه .

وكنت موقناً أيضاً بأن سر فساد السياسة الإسلامية ، هو أن الإسلام الصحيح بمعزل عن المسلمين ، ولم يكن الإسلام الذى بينهم يحيون له ، ويعيش لهم ، إلا إسلاماً مزيفاً لا يمت إلى الإسلام الصحيح بصلة . . . .

ولم تكن طبعته المتداولة بين أيديهم ، إلا طبعة زائفة . صاغها

الجمود ، الذى هو كل مؤهلات المحتكرين الإسلام باسم الإسلام - والمدعين الهيمنة عليه ، بكل ما يستطيعون من حمق وتبجح .

إن اسلام المسلمين اليوم ، هو هذه الصلاة التى لا روح فيها ، وهذا الحج الذى يبتغيه المسلمين البلهاء رخصة بحمل الألقاب . !

وإسلام المسلمين اليوم ، هو هذه المعارك الهزيلة ، من أجل التوسل بالصالحين وكرامات الأولياء ، وشفاعة المرسلين ، وليلتى القدر والنصف من شعبان ، وإرخاء اللحية والعذبة والصلاة فى النعال !.

وإسلام المسلمين اليوم هو هذه الطرق الصوفية البلهاء التى تهدم فى كيان الإسلام بفئوس من الفولاذ ، وهذه التواشيح « الدينية » التى تقلق الأسماع بها إذاعات البلاد الإسلامية الغراء .

هذا هو الإسلام الذى يفهمه المسلمون ، والذى يحاول المتصدون له أن يفرضوه فرضاً على عقول المسلمين .

أما الإسلام الذى يجب أن ينهض بالدين ، حتى يكون ديناً قيما .

أما الإسلام الذى يجب أن ينهض بالمسلمين حتى يكونوا خير أمة أخرجت للناس .

أما الإسلام الذى يجب أن ينهض بالإنسان حتى يليق بالآدمية التى أودعها الله فيه .

أما الإسلام الذى يجب أن يكون فى خدمة الشعب الأعزل المبغى عليه — لا فى خدمة الحكومات التى تريده قطيعاً من الغنم .

هذا الاسلام ... ما أبعده عن المسلمين ، وما أبعد المسلمين عنه ...

هذا الإسلام أصبح ... أصبح أشبه بالمصادر ، لايقوى المسلمون فى معظم البلاد الإسلامية على نشره والدعاية له .

لأن نشر الإسلام الصحيح بمعانيه الحية ، يهدد الاستعمار الغاشم ، وأذنابه الدخلاء ، كما يهدد الحكومات الاستبدادية التى لم تزل تحكم حكما طاغياً جائراً .

ونشر الإسلام الصحيح بمعانيه الحية الرفيعة . يهدد أصحاب المصالح من الرأسماليين وغيرهم ، كما يهدد الإباحية والانحلال والخنوثة ، ولهذه الأوبئة أنصارها وأشياعها .... أولئك الذين يذودون عن مبادئهم الواهية القذرة ...

متى يدرك المسلمون هذا كله حتى يدركوا أن سر نكبتهم إنما يرجع إلى عدم وصول الإسلام الصحيح إلى قلوبهم ، ولو قدر له أن يصل لتغيرت حالهم ، وارتفعوا من الحضيض إلى القمة . ؟

ومتى يدرك المتصدون للإسلام هذا كله ، حتى يتقوا الله فى هذا الدين ، ويدعوا صغائر الأمور ويلتزموا معاليها ، ويصفوه مما لحقه من جهالة ، ليقدموا منه زاداً طيباً مصفى إلى أذهان المسلمين وعقولهم . ؟

ومتى يدرك هذا كله ... أشياع المعارك الهزيلة ، الذين يطيب لهم دائماً أن يضعوا الإسلام فى جو معكر من الجدل والتنازع والتخاصم ، ويشغلوا الدهماء بما يشوه سمعة الدين ويحط من شأنه ومنزلته . ؟

ومتى يدرك هذا كله ... أولئك المتزمتون الذين يحلو لهم دائماً أن يظل ركب الإسلام فى المؤخرة لاينهض مع الحياة ، ولا يتطور مع تطورات الزمن ، ولا يقوى على السير فى مواكب الرقى والمدنية والإصلاح . ؟

* * *

وبعد — فلقد تعود هذا القلم المتواضع ألا يسجل إلا ما يعتقد ، دون أن يخشى فى الحق لومة لائم ، ولو كان هذا اللائم ممن تدين له الأرض بالطاعة ، لأنه يوقن بأن فوق كل قوى قوياً أقوى منه ، كما يوقن بأن الإسلام كتب على كل مسلم أن ينشر معانيه الصادقة الخالصة ، وإن غضبت الدنيا بأسرها ...

يا أتباع الإسلام افهموا دينكم كما ينبغى أن يفهم .

ويا دعاة الإسلام انشروا معانى الإسلام الخالصة كما ينبغى أن تنشر ، فلا خير فى المسلمين إذا لم يفهموا دينهم كما ينبغى أن يفهم ، ولا خير فى دعاة الإسلام إذا لم ينشروا معانيه الخالصة كما ينبغى أن تنشر ، ولا قيمة للإسلام ... إذا لم يجد المسلمين الذين يفهمونه فهماً صحيحاً ، ولا الدعاة الذين ينشرون معانيه صافية خالصة . !!

القاهرة

محمد عبد الله السمان

تمهيد

هذا الانهيـــار . . .

إن للانهيار الشائن فى المسلمين ودولتهم مرجعاً واحداً ، ليس هو تنكب المسلمين طريق إلا سلام السوى ، كما يتبادر إلى ذهن كثير من المتصدين للغيرة على الإسلام ودولته وشعوبه ، الذين لا يملكون إلا الثرثرة والنعيق ، والتصايح والتشدق بالألفاظ . .

هؤلاء المتصدون للغيرة على الإسلام أتقنوا حفظ أسلوب واحد ، لا يتحولون عنه ، ولا يقوون على التخلص منه ، حتى أصبحوا أشبه بالأشرطة المسجلة تماما ، إذا كتبوا ، وإذا خطبوا ، قالوا فى كل مرة : إن علة انهيار المسلمين تنكبهم طريق الإسلام ، وأن العلاج هو الرجوع إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه السلام . .

هذا هو كل أسلوبهم : كلمات تقليدية مبهمة لا يتعبون أنفسهم حتى فى توضيحها ، أو إلقاء شىء من الضوء عليها ، إنها كلمات تحمل العامة السذج على تقديرها ، وفى الوقت نفسه لا تلقى من المثقفين إلا كل ازدراء وسخرية . .

والعجيب أنه مرت أجيال على المسلمين ، والانهيار آخذ فى التفاقم ، حتى أصبحوا يتخبطون فى الدنيا ، وهم أشبه بجماعة العميان فى بلد العميان ، وهؤلاء الغيَرَة على الإسلام ، كل مهمتهم هو هذا الأسلوب العتيق البالى ، الذى يزيده التكرار سقما على سقم ، وجموداً على جمود .

أما المرجع الحقيقى للانهيار الشائن فى المسلمين فهو الجفاء القائم بين الإسلام والمسلمين ، والإسلام بطبيعته لا يحمل فى معانيه ذرة من الجفاء لأحد من الناس ، فضلا عن أتباعه ، والمسلمون بطبيعتهم لا يمكنهم أن يحملوا فى نفوسهم ذرة من الجفاء للإسلام ، وهو دينهم الذى رضيه الله لهم وارتضوه لأنفسهم ، دون إكراه أو إرغام .

وإنما صنع هذا الجفاء المتصدون للإسلام من أشياع الغيرة عليه ، لأنهم هم الذين أساءوا عرضه ، وشوهوا تعاليمه ، وصيروه دينا جامداً لا يقبل المرونة ، متزمتا ، لا يرضى عن التطور ، هزيلا لا يسمو إلى معالى الأمور . .

ولأنهم هم الذين حصروا الإسلام فى معارك هزيلة ، وأوهام باطلة ، ومعان تافهة ، وجعلوا منه بضاعة مزجاة لا تلقى فى أسواق العقول إلا الازدراء والبوار ، ولا تلقى فى معارض الأفكار الدولية سوى المهانة والإعراض . .

الإسلام الرخيص

فى السيارات العامة ، والشوارع والميادين الكبرى ، وعلى المقاهى يباع نوع من الإسلام بأرخص الأثمان ، والأذان تعودت أن تسمع أصوات الباعة تنادى : ميلاد النبى وهجرته ووفاته بخمسة مليمات ، وألف حديث دينى بخمسة مليمات ، وقصص النبى مع الغزالة والجذع والضب والحجر والغمامة بخمسة مليمات .

إن لهذا النوع من الإسلام تجارا فى مصر ، ومحال تجارتهم تكاد

تكون ملتصقة بالأزهر (الشريف) ، وفى ذلك مافيه من التغرير والتمويه على عقول السذج والبسطاء ، وهؤلاء التجار آمنون فى ظل نومة الأزهر المعمور ، يباشرون أعمالهم فى سكينة وهدوء .

وبجانب هؤلاء التجار يعمل بعض محترفى التأليف فى ميدان آخر ، وهم يحرصون على أن يقدموا للجهلة من المسلمين إسلاماً رخيصاً بملاليم معدودة ..

وهؤلاء وأولئك يجيدون ابتكار العناوين التى تجتذب عواطف السذج ، وابتكار القصص التى تليق بعقول الجهلة ، ولن يهمهم بعدئذ أن تهان معانى الإسلام ، أو تشوه معالم التاريخ .

ونحن لا نطالب بأن تفرض الرقابة على هذه المطبوعات ، ولكن الأفضل أن نعمل على بوار هـــذه البضاعة التى تسىء إلى الإسلام إساءة فاضحة ، لامستعينين بالأزهر وحده ، ولكن بكل مسلم يغار على معانى دينه الحنيف من التشويه الممقوت . !

المعلومات المشوهة

هناك معلومات اسلامية كثيرة ، راسخة فى أذهان المسلمين ، وهذه المعلومات مشوهة تشويها يحط من قدر رسالة الإسلام . .

ولكى نصون رسالة الإسلام قدرها ، يحتم علينا أن ننظف عقول المسلمين من هـذه المعلومات المشوهة ، وليست هى من الهوان بحيث يجوز التهاون فى أمرهـا ، فهى تتصـل بصميم معانى الاسلام الحية ، وبالأصول التى قامت عليها دعوته .

وليس هذا المجال مجال حصر لهذه المعلومات ، لأنها فى حاجة الى سفر ضخم ، ولكننا نمر سريعا على نماذج قليلة منها ، تلقى على هذه الناحية بصيصا من الضوء .

إن العامة من المسلمين يفهمون أن رسالة محمد ماجاءت ، إلا لتعلن الحرب على الدنيا ، وتعرضها فى صورة منكرة مشوهة ، حتى يزهد فيها ويتعفف عنها المسلمون ، وتحدثهم عن عزة المسلمين التى وطئتها نعال الكافرين فيجيبونك : لهم الدنيا ولنا الآخرة . . ! ! والعامة من المسلمين يعتقدون أن الإسلام منحصر فى صلاة وزكاة وصيام وحج ، ولا شأن له بالتدخل فى شأن من شؤون الدنيا .

والعامة من المسلمين يعتقدون ، أن كل مسلم مسئول عن نفسه ، ولا شأن له بغيره ، ولا دخل له فى استعمار بلاده ، وليترك ما لقيصر لقيصر وما لله لله . . ! والعامة من المسلمين يعتبرون علماء الدين مسئولين عن كل شىء يتصل بالإسلام ، فالعمل على إعلاء كلمة الله ، وعلى إزالة المنكرات ، ومكافحة الظلم ، والدفاع عن الحق ، كل أولئك من شأن علماء الدين وحدهم ، والمسئولية لا تقع الاعلى عاتقهم . . ! والعامة من المسلمين ، يعتقدون أن ما لحق المسلمين من ضعف ، ودولتهم من ذلة ، وكلمتهم من مهانة ، وكرامتهم من حطة ، إنما هو قضاء الله الذى يجب أن نسلم به ونرضخ له . . !

وهناك الكثير والكثير ، وليس المهم أن نشخص الداء فحسب ، ولكن الأهم أن نجيد وصف الدواء . . !

* * *

هذه المعوقات

هذه المعـــوقات

إن هناك كثيرا من المعوقات لنهضة الإسلام فى هذه الحياة ، وهى حقيقة لا مرية فيها ، وهذه المعوقات ، لم يقدر لها أن تواجه الإسلام فى فترته الأولى . لأن عقول المسلمين يومئذ كانت كفيلة بتحطيمها ، ولأن تفكيرهم كان يومئذ خصبا لم يصبه الجدب ، بحيث لا يمكن لهذه المعوقات أن تعيش بجانبه لحظات .

ولكن هـذه المعوقات تعيش اليوم بخير ، دون أن يصيبها شىء من التقهقر أو الملل ، ولها فى كل ميدان أنصار يذودون عنها ، وفى كل مجال أشياع يروجون لها ، وفى كل مناسبة دعاة يتعصبون لبضاعتها ، والسر فى وجود هـذه المعوقات اليوم على قيد الحياة ، إنمـا هو الركود الذى خيم على عقلية كثير من المسلمين فحال بينهم وبين النهوض الفكرى ، وإنما هو أيضا السفه الذى أصاب أفهام المتعصبين باسم الغيرة على الإسلام . . .

وشر هذه المعوقات هو الاحتكار ... احتكار رجال الدين للإسلام ، والجمود الفكرى المصطنع ، والغلو المقيت ، والتزمت البغيض ، وهـذه الألوان تسيطر سيطرة تامة على عقلية الكثيرين من المسلمين ، وتقف سدا منيعا دون نهوض الإسلام والمسلمين، نهضة فكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية .

وياويل من يحاول من ذوى الأفكار الحرة تحطيم هذه المعوقات أو التنديد بها — فإن الزندقة والمروق والإلحاد ، اتهامات قليلة عليه فى نظر جبهات التعصب الأحمق البذىء .

والعجيب المؤلم ، أن هؤلاء الحمقى يعتقدون اعتقادا راسخا ، أنهم على هدى ، وأن الغيرة على دينهم ، هى التى تدفعهم إلى هذا التعصب المقيت ، ولو قدر لهم أن ترفع الغشاوة عن أعينهم وقلوبهم ، لأدركوا أنهم إنما يسيئون إلى الإسلام بغيرتهم المزعومة ، ويكدسون العراقيل فى طريق نهضته ، ويشوهون قدره كدين إنسانى خالد .

وأعجب وآلم من هذا ، أن هؤلاء لا يملكون حجة ، ولا يرتضون منطقا ، ولا يجيدون إلا السب والقذف والشتائم .

الجمـــود الفـــكرى

إن الإسلام دين لم يخاطب القلوب إلا بعد أن استقرت العقيدة فيها ، وأصبحت هذه القلوب ملكا له ، ولكنه بدأ بمخاطبة العقول لأنها منبع التفكير ، وهى أقدر على تكييف معانى الإسلام من القلوب التى هى مقر الإحساسات والعواطف فحسب ، وليس لهذه الإحساسات والعواطف قيمة ، إلا إذا كانت العقيدة هى التى تصوغها وتصرفها وفق إرادة الخير والفلاح .

فالعقل هو الذى يملك وحده أن يضىء القلب لينشرح للهداية ، وهو الذى يملك أن يحجب عنه الضوء ليصده عن الهداية ويتخلف عنها ، لأن العقول تكيّف الأشياء بقدر حكمتها ، وتكيف العقيدة بقدر منطقها . ولا تقر شيئا يفرض عليها ، ولا تقبل عقيدة على رغم منها ، إلا إذا كان أصحابها قطعانا من الماشية ، أو آلات مسخرة لا إرادة ولا مشيئة لها .

وهذه العقول أشبه بالماء — فاذا ظل جاريا فى مجراه كان له قدره وشأنه ، وإذا ركد مكانه فقد حيويته ، وصار مبعثا للعفونة ، وموطنا للجراثيم ، وكذلك العقول إذا ركدت وحرمت النشاط الفكرى ، فقدت قيمتها ووقارها ، وأصبحت ككل أعضاء الجسم ، تؤدى وظيفتها بحركة آلية وكفى !.

ورسالة الإسلام رسالة خالدة ، واعتبارها خالدة يحتم عليها أن تكون مرنة متطورة ، ولا ثمرة لمرونتها وتطورها ، إلا كانت عقول أتباعها عقولا مرنة لا تزمت ولا جمود فيها .

ورسالة الإسلام — والحمد لله — رسالة مرنة لأنها قد كتب لها الخلود . والذين قدر لهم أن يدرسوا التشريع الإسلامى ، أو على الأقل أن ينال التشريع الاسلامى قسطا من عنايتهم وتفكيرهم ، يوقنون تماما بأن رسالة الإسلام بلغت أرفع درجات المرونة .

إن فى إلغاء بعض أحكام التشريع وتغيير بعضها ، لدليلا قاطعا على مرونة هذا التشريع ، ويعرف الفقهاء هذا الإجراء بالنسخ ، ولهم فيه بحوث مستفيضة لا داعى لها هنا ، وحسبنا كتاب الله تعالى :

« ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ، ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير » ١٠٦ — البقرة .

وإن فى نزول النص التشريعى ذى الهدف الواحد على دفعات ، ليوائم إمكانيات البشر ، لحجة كبرى على مرونة هذا التشريع - ولسنا فى حاجة إلى دليل فى هذا المعنى ، لأننا نعلم أن الخمر وضحت حقيقتها فى أول آية نزلت ، وفى الآية الثانية حرمت فى أوقات معينة هى أوقات الصلاة ، وفى الآية الثالثة قطع بتحريمها نهائيا ، بعد أن أصبحت إمكانيات المسلمين مستعدة لتنفيذ هذا التحريم .

إن الرق وضع لا تقره مبادىء الإسلام ، أو على الأقل لا ترضى عنه ، لأن الإسلام من أهم أهدافه تحرير النفوس ، ولكن التشريع الإسلامى فى أول أطواره لم يشأ أن يحرم هذا الوضع للقضاء عليه ، حتى لا يصطدم مع العقلية الرجعية ، وحتى لا يحدث اختلالا فى التوازن

الاجتماعي والاقتصادى ، وإنما ترك مهمة القضاء عليه للتطور الفكرى بمرور الزمن .

ولم ينزل تشريع على وجه التقريب فى المرحلة الأولى للإسلام بمكة ، والتى بلغت بضع عشرة سنة ، لأن هذه الفترة خصصت لغرس العقيدة الإسلامية ، ولأن إمكانيات المسلمين لم تكن مستعدة خلالها لقبول أى لون من ألوان التشريع .

هذه أمثلة حية ناطقة بمرونة التشريع فى الرسالة الإسلامية ، لاتدع مجالا لمتعنت أو مجادل ؛ وهذه المرونة سر خلود الرسالة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، إذا ماوجدت الأفكار المرنة التى تتولى بحزم نشرها فى الأرض ، والأسلوب المنطقى الذى يشرف على بذرها فى العقول .

كان لأصحاب رسول الله (ص) عقول تفكر وتجتهد والرسول بين أظهرهم ، وما اعتبر الإسلام الشورى من أسس الدعوة الإسلامية ، إلا تقديراً للعقول والأفكار .

والرسول - رغم إشراف الوحى على توجيهه - كان كثيراً مايجتهد هو رأيه ، وفى القرآن كثير من الأدلة الناطقة التى لاتقبل تأويلا .

فقد اجتهد رأيه وأذن للبعض بالتخلف عن غزوة تبوك ، وعوتب فى ذلك :

« عفا الله عنك لم أذنت لهم ، حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين » - ٤٣ - التوبة .

واجتهد رأيه وأطلق سراح أسرى بدر من المشركين بعد أن أخذ منهم الفدية ، وعوتب فى ذلك :

« ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض ، تريدون

عرض الدنيا والله يريد الآخرة ، والله عزيز حكيم » ٦٧ ـ الأنفال .

واجتهد رأيه وصلى على شيخ المنافقين عبد الله بن أبيّ بعد موته ، وعوتب فى ذلك :

« ولا تصل على أحد مات منهم أبدا ولا تقم على قبره ، إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون . » ٨٤ ـ التوبة .

ويجنح بعض الجهلة إلى سلب الاجتهاد والتفكير من الرسول ، فى تفسير قوله تعالى : « وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى » ويصر على أن الرسول كان « بوقا » يبلغ الناس ما يوحى اليه فحسب ، ولا ينطق إلا بما يوحى إليه ، ولو فقه هؤلاء الجهلة ، لأدركوا أن المقصود : هو أن ما يوحى إلى الرسول لتبليغه للناس ، إنما هو وحى حقيقى ، ولم يبتكره خياله عن هوى فى نفسه .

* * *

ولقد كان التقليد جناية أصابت الرسالة الاسلامية فى صميمها ، ونعنى بالتقليد ، تقليد المذاهب الأربعة ، التى أصبحت فى نظر العامة جزءاً من عقيدتها ، وأنها شرط فى صحة الاسلام .

والعجيب أن رسالة الاسلام جاءت لتوجد أمة واحدة ـ أما هذه المذاهب الأربعة فقد برزت إلى الوجود لتقسيم المسلمين ، بين مذاهب أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل .

وأعجب من هذا : أن اجتهادات أصحاب هذه المذاهب الأربعة دليل على مرونة الاسلام ، وتوضيح لسبيل هذه المرونة ومسالكها ، ولكن المتعصبين لهذه المذاهب ، يصرون على أن تكون دليلا على جمود الاسلام وركود تشريعه .

فلم يجتهد أصحاب المذاهب الأربعة ليفرضوا على المسلمين تقليدهم ، وإنما اجتهدوا ، ليفتحوا للعقول أبواب الاجتهاد الفكرى ، وليبرهنوا على يسر الاسلام ومرونته وسماحة تشريعه .

ففى منتصف القرن الثانى الهجرى ، رفض الامام مالك أن يستجيب لرغبة الخليفة المنصور ، فى إرسال نسخ من كتابه «الموطأ» على الأمصار ليكون مصدراً ومرجعا لها فى العبادات والمعاملات ، وكانت حجة الامام مالك ، أن أصحاب رسول الله تفرقوا فى هذه الأمصار ، ولهم آراؤهم وأفكارهم .

* * *

قال أحمد بن حنبل لأبى داود : « لاتقلدنى ولا تقلد مالكا ولا الثورى ولا الأوزاعى وخذ من حيث أخذوا »

وقال أبو يوسف صاحب أبى حنيفة : « لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا » - أعلام الموقعين ثان .

وقال الامام مالك : « إنما أنا بشر أخطىء وأصيب ، فانظروا فى رأيى ، فكل ماوافق الكتاب والسنة فخذوا به ، وكل ما لم يوافقهما فاتركوه . » تفسير المنار ثان .

التزمّت المصطنع

من المعوقات التى اعترضت نهضة الإسلام ، هذا التزمت المصطنع ، ونَصفه بالمصطنع ، لأن الذى ألصقه بالإسلام العقول الآسنة . والأفكار الراكدة ، والجهل المطبق .

ولأن الإسلام بطبيعته ، دين حنيف يسر ، لا تعقيد ولا تزمت فيه ، وهذا هو روح التشريع ناطق بين أيدينا :

« يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر » ١٨٥ — سورة البقرة

« لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » ٢٨٦ — سورة البقرة

« وما جعل عليكم فى الدين من حرج » ٧٨ — الحج

« ونيسرك لليسرى » ٨ — سورة الأعلى

وهذا هو رسول التشريع يروى عنه فى البخارى ، أنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، وهو الذى يقول :

« بعثت بالحنيفية السمحة » رواه أحمد

« يسروا ولا تعسروا » متفق عليه

« خير دينكم اليسرة » رواه أحمد

« إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » رواه مسلم

« رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » رواه الطبرانى

« إن الله يحب أن تُؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » رواه ابن حبان

لم يعرف الإسلام التزمت ولا التعنت ، ولا يمد إليه إنسان يده

إلا يلقاه مرحباً به ، ميسراً له طريق الوصول إليه ، ويسر الإسلام هو سر فلسفة تشريعه وقوته .

ورد فى مسند الإمام أحمد : أن وفد ثقيف قدموا على رسول الله (ص) فاشترطوا عليه لإسلامهم ، أن لايجاهدوا ولايزكوا ، ولايصلوا ، ولا يستعمل عليهم غيرهم ، فأقرهم الرسول (ص) على شروطهم .

وقد ورد فى سنن أبى داود وابن حبان وغيرهما : أن امرأة صفوان ابن المعطل ، شكت زوجها إلى رسول الله (ص) من أنه لايصلى حتى تطلع الشمس ، فأجاب زوجها قائلا : « إنا أهل بيت عرف لنا ذلك ، فلا نستيقظ حتى تطلع الشمس » .

فسكت الرسول (ص) دون أن ينكر عليه جوابه .

وفى مسند الإمام أحمد : أن رجلا أتى النبى (ص) فأسلم على أنه « لايصلى إلا صلاتين فقبل ذلك منه » .

هذه بعض صور تنطق بمرونة الإسلام ، وعدم تعنته ، فالرسول يقر وفد ثقيف على إسلام لا صلاة ولا زكاة ولا جهاد فيه ، ويقر أحد المسلمين على صلاتين من الخمس المفروضات ، ويلين مع صفوان بن المعطل الذى يؤخر صلاة الفجر حتى تطلع الشمس ، ولم يكن ذلك منه (ص) إلا ترغيبا فى الاسلام ، وتيسيراً للراغبين فيه ، والتدرج بهم حتى يمتزجوا بالإسلام ، فيصلوا إلى الكمال الذى يطالبهم به .

والإسلام يقف بتشريعه عند مصلحة البشر ، وحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله كما يقول الأصوليون .

وتقدير التشريع الإسلامى للمصلحة ، دليل على عظمته ، وعلى

جدارته بالخلود ، والتطور مع سنن التطور فى الحياة .

فى سنن أبى داود : أن النبى نهى أن تقطع الأيدى فى الغزو ، لأن المصلحة تقتضى الحيلولة بين الجيش والاضطراب الذى يشعله إقامة الحد ، وفى الصحيحين : أن النبى أجاز للمسلمين فى إحدى الغزوات نكاح المتعة ، حتى لا يضطروا إلى التخصى ، أو إلى ماهو أكبر منه .

وفى صحيح البخارى : أن النبى عليه السلام قال :

« إن الله حرم مكة ، لا يعضد شجرها ، فقال العباس : يارسول الله إلا الإذخر لصناعتنا وقبورنا ، فقال (ص) إلا الإذخر » .

وفى صحيح مسلم أن النبى قال لأصحابه : أنتم أعلم بأمر دنياكم ، تاركاً لعقولهم تكييف الأشياء وفق مصالحهم .

وهناك لون أحمق من التزمت ، يباشره أولئك الذين يحاولون جاهدين ، أن يصنعوا حياة من ابتكار أفكارهم ، تعتبر — على حد زعمهم — صورة من الحياة فى أيام الرسول ، وهؤلاء يروجون لأنفسهم بعض المظاهر التى لايهتم بها الاسلام كثيراً ، ليرتكبوا من ورائها وفى ظلها أكبر الكبائر .

كان تنفيذ الاعدام فى عهد الرسول وأصحابه بالسيف ، لأنه لم يكن غيره يومئذ ، ومضت هذه القرون الطويلة ، وتطور خلالها كل شىء .. إلا اليمن والحجاز ، اللتين لم تزالا تعيشان مع العصر الأول الاسلامى من حيث بيئته وعقليته وإمكانياته .

لا زالت اليمن والحجاز تنفذان حكم الإعدام بالسيف ، بطريقة يقشعر منها القرن العشرون ، وكأن المقصود بالقصاص إشفاء الغيظ من القاتل لا القصاص نفسه .

إن رحمة الاسلام التى شملت الحيوان والطير وكل دابة فى الأرض ، حتى الذبيحة حين تذبح شملتها رحمة الاسلام ، فأوصى الرسول بإراحتها وحد الشفرة التى تذبح بها حتى لا تموت مرتين .

هذه الرحمة الواسعة الشاملة لا تشمل الانسان فى نظر دولتى الحجاز واليمن ، فيقتل قتلة دنيئة ، تفزع منها الانسانية والكرامة الآدمية .

ويرجع هذا التعسف إلى العقلية الجامدة الآسنة ، التى تدعى التمسك بكل ما كان كائناً فى العصر الاسلامى الأول .

وهذا ضرب من التغرير ليس إلا .

* * *

إن العبادة فى بعض الدول الاسلامية شرعية ، ولكن بجانبها حكما أقطاعيا ، وكبتا للشعب ، وقتلا لحرية الرأى ، أو لكل نهضة تحاول أن تطل برأسها .

والمذياع يكاد يكون محرما فى هذه الدول ، لأنه يذيع الأغانى التى هى رجس من عمل الشيطان ، وفى بيوت سادتها المتحكمين الحفلات العارية الماجنة ، والمساخر الفاضحة ، التى تصرع فيها الفضيلة ، ويذوب الحياء . . !

الهوس الدينى

إن الهوس الدينى من المعوقات المزمنة ، التى تعترض نهضة الاسلام فى بلاد المسلمين ، وهو من أشق الأمراض الهستيرية التى استقرت فى عقول كثير من الحمقى ، الذين يسيئون إلى الاسلام أكبر إساءة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

والغلو فى الدين من أبرز عناصر الهوس الدينى ، ورغم أن هـذا الدين يسر ، يتفق وطاقة البشر ، ولا يجد فيه المسلم مايشق عليه ، ولا مايضنيه ويتعبه أو يعوق مصالحه ، إلا أن هؤلاء المتهوسين يأبون إلا أن يشددوا على أنفسهم وعلى المسلمين ، حتى يضعوا الاسلام فى صورة مشوهة دخيلة عليه .

ولسنا ندرى ، كيف يتحقق قول الحق تبارك وتعالى فى رسالة محمد ، « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . إذا كنا فى عباداتنا ومعاملاتنا ، نجعل من الاسلام مضيقاً ومشدداً ومعسراً ، وكيف نحقق — مع هـذا الهوس — أن الله لم يجعل علينا فى الدين من حرج ..؟

إن الاسلام ينفر من الغلو فى العبادات ، لأنه يعطى للأذهان عن الاسلام صورة من التشدد الذى لايقره بحال من الأحوال ، ففى صحيح البخارى : أن عائشة ذكرت للرسول — صلوات الله عليه — امرأة من بنى أسد لاتنام من الليل ، أى تظل تتعبد فيه ، فقال (ص) :

« مه .. عليكم من الأعمال ماتطيقون ، فإن الله لايمل حتى تملوا ... »

وفى صحيح البخارى : أن رسول الله (ص) دخل المسجد فإذا حبل

ممدود بين الساريتين ، فقال : ماهذا الحبل ؟ قالوا : حبل لزينب ، فإذا فترت تعلقت به ، فقال النبي : لا — حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا فتر فليقعد » .

وفى سنن أبى داود أن النبى — صلوات الله عليه — أوصى أصحابه فقال : « لا تشددوا على أنفسكم ، فيشدد عليكم ، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد عليهم ، فتلك بقاياهم فى الصوامع والديار رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم . »

سأل النبى عقبةُ بن عامر : أن أخت عقبة نذرت أن تحج ماشية ، وإنها لاتطيق ذلك ، فقال النبى — صلوات الله عليه — إن الله لغنى عن مشى أختك » رواه أحمد .

وكما ينفر الاسلام من الغلو فى العبادات — فإنه لايرضى بأن يكون تشريعه عقبة فى سبيل تيسير معاملاتنا ومصالحنا ، وما تستلزمه تطورات الحياة ، ما دام فى ذلك تحقيق الخير .

فلنتصور أن العمل فى المصارف حرام ، لأنها تتعامل بالربا ، وأن لجوء السيدات إلى الأطباء حرام ، لأنهم يكشفون عن عوراتهن ، وأن صناعة لعب الأطفال وبيعها وشراءها حرام ، لأنها تصاوير حرمها الاسلام ، وأن التدريس للرجال فى مدارس البنات ومعاهدهن حرام ، لأن فيه اختلاطاً يحرمه الاسلام ، وأن ارتداء الملابس الإفرنجية ، واستعمال كل ماهو إفرنجى حرام ، لأن فى ذلك تشبها بالكفار ، والرسول يقول : من تشبه بقوم فهو منهم ... ولنتصور أن الوظيفة فى الدولة حرام ، لأن المرتبات تدخل فيها الشبهة ، لأنها من أموال الدولة ، التى تجمع من الضرائب على الخمور والصالات والملاهى ، وأن المرأة

التى تغادر بيتها لحظة واحدة ، تلعنها الملائكة حتى ترجع ، وأن العمل بالنسبة للمرأة حرام ، ولو صانها العمل عن الانهيار والسقوط ، وأن صوت المرأة عورة ، فيجب ألا يرتفع لها صوت ، وأن كفيها ووجهها عورة ، فيجب ألا يرى كلاهما ..

ولنتصور بعد ذلك ، ومع هذه الحماقة ، كيف تنتظم الحياة ، وتستقر شؤونها ، وتستتب أحوالها ، وهل يرضى الدين هذه الحماقات ، وهو الذى جاء ليهيىء الحياة المستقرة للناس حتى ينعموا فيها ؟

إن فلسفة التشريع الاسلامى ، تؤكد لنا أن هذا التشريع لم يوضع إلا وفقق طاقة البشر ، وأن الله لايكلف نفسا إلا وسعها ، ولعل من هـــذه الفلسفة . قول الرسول صلوات الله عليه ، فيما رواه عنه عبد الله ابن عمر ، قال :

كنا إذا بايعنا رسول الله (ص) على السمع والطاعة يقول لنا فيما استطعت ، أو قال استطعتم .. رواه البخارى ومسلم .

* * *

لقيت ذات يوم أحد المتهوسين الدينيين ومعى عالم أديب ، وكان صاحبنا ثائرا كعادته كلما لقيته، فبادرنا بقوله : أيعجبكم مافعلته الباكستان المسلمة ؟ قلنا ماذا حدث ؟ قال : إنها جندت الفتيات فى جيشها ..! قلنا وأى شيء فى هذا ؟ فأجاب ، أننا لانعترض على تجنيـــدهن ، ولكننا نعترض على أن تظهر المجندات سافرات من غير حجاب ..!

واستأذنا صاحبنا فى الانصراف دون أن نناقش ، وأخـــذ كلانا يضرب كفا على كف ، من أجل هذا الهوس الدينى ، فكيف يستسيغ

عقل مسلم ناضر ، أن تعتلى الفتاة الطائرة والدبابة ، وكيف تقف خلف المدفع ، وهى محتجبة .. ولكنه الهوس ..!

وكنت أصلى ذات يوم بمسجد بأحد الأحياء الراقية بالقاهرة ، وأفزعنى أن يقولى واعظ المسجد فى درسه الدينى : إن الصلاة فى الملابس الإفرنجية مكروهة ، وسأله أحد المستمعين ، وماذا يفعل الموظف فى ديوانه إذا أراد أن يؤدى فريضة الصلاة ؟ فأجاب : ليحمل فى حقيبته جلبابا يلبسه حين يصلى ...

ولم يكن لأمثالى أن أناقش هذا الشيخ المتعنت ، الذى يسىء إلى الإسلام أسوأ إساءة ، ولا أن أقول له : إن الصلاة جائزة من غير كراهة ، إذا ارتدى المصلى مايستر بين السرة والركبة ، بإجماع المذاهب ، وفى رواية لأحمد ، أنها تجوز إذا ماستر المصلى الفرج والدبر ، كما جاء فى الجزء الأول من المغنى ... ولكنه الهوس الدينى !

وكنا ضيوفا ذات يوم لدى أحد الإخوان ، وقبل أن يحين وقت العصر بأكثر من ساعة ، دعينا إلى تناول طعام الغداء ، فانبرى للكلام أحد المشتغلين بالوعظ الدينى وقال : كم بقى على ميعاد صلاة العصر ؟ فأجيب : أكثر من ساعة ، فقال : ألا نستطيع أن نصبر ساعة عن مائدة البطون ، حتى نجيب دعوة مائدة الله ؟ فسئل ، وما مائدة الله ؟ فأجاب : صلاة العصر . . !

فاضطررت إلى أن أقول للشيخ : إن الإسلام دين الذوق واليسر والنظام ، ولا يرضى لنا أن نكون ثقلاء حين نستضاف ، وقد يكون وراء بعضنا أعمال مرتبط بها فنعطله ، أو لمضيفنا بعض المشاغل ،

فنوقعه فى الحرج ، ثم إن لنا فى توجيهات الرسول صلوات الله عليه — خير قدوة ، وهو القائل :

« إذا وضع عشاء أحـــدكم وأقيمت الصلاة ، فابدءوا بالعشاء ، ولا يعجل حتى يفرغ منه . » متفق عليه

ولم أتوقع أننا سنقع فى جدل متواصل ، فأمسكت عن المناقشة وأنا موقن ... بأنه الهوس الدينى .

واستمعت ذات مرة أخرى إلى الواعظ الدينى بأحـــد المساجد ، يجيب عن سؤال وجه إليه من مسلم ساذج ، يريد أن يعرف مافرضه الله عليه من الصلاة والصوم .

فأجابه الشيخ ، بأن عليه أن يصـــلى ركعتى الصبح وقبلهما ركعتى الفجر ، وأن يصلى صلاة الضحى أربعا ، وسنة الظهر القبلية أربعا ، والبعـــدية أربعا ، غير صلاة الظهر أربع ركعات ، ثم العصر أربع ركعات ، ثم المغرب ثلاثا ، ثم السنة للمغرب أربع ركعات ، ثم سنة العشاء أربع ركعات ، ثم العشاء أربع ركعات ، ثم الوتر ثلاث ركعات.. لأن النبى فعل هذا ..

أما الصوم فشهر رمضان ، والأيام البيض الستة فى أول شهر شوال ، والأيام البيض الثلاثة من كل شهر عربى ، الثالث عشر ، والرابع عشر والخامس عشر ، والخميس والاثنين ، وأول المحرم ، ويوم النصف من شعبان ، والسابع والعشرين من رجب ... لأن النبى فعل هذا ..

كان الشيخ يتكلم والرجل مشدوه ، ثم انصرف والحيرة ملء نفسه ، ولا أعتقد أنه قد استراح لهذا الهوس الدينى .

وكعادتى لم أكن أملك مناقشة الشيخ الذى يدعى أنه يمثل النبى فى مجلسه ، فالعلماء ورثة الأنبياء .

ولكنى كنت أود أن يتعلم أمثال هذا الشيخ ، قبل أن يتصدوا للتدريس ، فهل يقر هذا الاسلام هذه الرحمة فى العبادات التى روعى فى تشريعها اليسر الذى يوافق طاقة البشر ؟

إن فلسفة التشريع تحتم أن يستقر أولا ما فرض الله فى الأذهان ، دون أن يزاحمه التطوع ، لأن الفرض هو الأصل ، ولا يحاسب الله على غيره ، ومن تطوع فهو خير له .

إن الأعرابى الذى جاء من أهل نجد يسأل النبى عما فرضه الله عليه ، لم يجبه الرسول بأكثر مما فرض ، وأشار إشارة موجزة إلى التطوع ، وذلك ليقوم الأعرابى ، وقد استقر فى ذهنه الفرض فقط ، ولم تشوش عليه زحمة النوافل ، قال له الرسول: إن ما فرض الله عليك ، خمس صلوات فى اليوم والليلة ، فقال هل على غيرهن ؟ قال : لا ، إلا أن تطوع ، وصيام رمضان ، فقال هل على غيره ؟ قال : لا ، إلا أن تطوع ، وذكر له الرسول الزكاة ، فقال هل على غيرها ، قال : لا ، إلا أن تطوع ، ثم أدبر الأعرابى وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه ، فقال رسول الله (ص) : أفلح إن صدق ، أو دخل الجنة إن صدق » .

والحديث مشهور فى البخارى ومسلم وغيرهما .

إن النساء مشهورات بالهوس فى العبادة ، فالمرأة المتعبدة لا تتنازل عن صيام الاثنين والخميس ، ولا تتنازل عن صلاة الضحى والتهجد ، ويحدث الكثير من المتاعب بينها وبين زوجها بسبب هذا التنطع فى العبادة ، قد تؤدى إلى الطلاق ، ومسكينة هذه المسلمة التعسة التى تلقت

دينها عن الحمق ، الذين صبوا فى أذنيها أن ركعتى الضحى خير من الدنيا وما فيها . وأن من صام الخميس والاثنين ، بنى الله له قصراً فى الجنة ، ولم يحاولوا أن يفهموها مرة واحدة ، أن المرأة لاتصوم — تطوعاً — إلا بإذن زوجها ، وأن طاعة زوجها فرض ، وأن أية عبادة غير الفريضة تتعارض مع مصالح البيت وأعمالها ، يجب الاستغناء عنها .

وفى موسم الحج ، يبيع الفلاح بقرته التى يعتمد عليها فى حياته ، وربما رهن بيته الذى يضم أسرته ، حتى يحصل على نفقات الحج ، فيرجع وقد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، وطهر من الذنوب كيوم ولدته أمه ، وهناك غيره يصر على أن يحج فى كل عام ، وربما كان بيته فى مسيس الحاجة إلى نفقات الحج ، ولكنها الشهوة العمياء التى يجلبها الهوس الدينى .

وفى هذا الموسم يفد من بلاد المغرب العربى عشرات المئات من المغاربة ، سيراً على أقدامهم ، حفاة عراة لايملكون غير أنفسهم ، ويمرون بمصر فى حالة مزرية يقصدون الحج ، معتمدين على التسول فحسب ، ومعتبرين أنفسهم أنهم فى سبيل الله ، لأنهم يقصدون بيته .

ولا يحاول عاقل إقناعهم ، بأن الحج لم يفرض إلا على من استطاع إليه سبيلا ، وأن جهاد الاستعمار الغربى الصليبى أوجب من حج البيت فى مثل هذه الظروف . . . ولكنه الهوس الدينى .

* * *

وكان من جناية الهوس الدينى ، أن المتهوسين يحاولون أن يجعلوا من الدنيا داراً تافهة لأن مصيرها الزوال ، ويجب ألا تكون إلا للزهد فى متاعها ، والعفة عن زينتها ، ولا يملكون من الحجة إلا تفسيراً أحمق

لقوله تعالى « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » لأنهم لا يفقهون أن العمل والسعى والنشاط من العبادة التى أرادها الله ، حتى الزينة التى أخرج الله لعباده محرمة فى نظر المتهوسين ، ومحرم على المسلم والمسلمة مباشرة شىء من الرفاهية ، فالموسيقى حرام ، والأغانى حرام ، ودور الخيالة حرام ، والرياضة حرام ، ومباهج الدنيا كلها حرام ، وكأنهم لم يقرءوا أبداً ، بل ولم يمروا بقول الله عز وجل :

« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » .

إن جاريتين كانتا تغنيان فى بيت عائشة ، ودخل أبو بكر فقال : أمزمار الشيطان فى بيت رسول الله ؟ فقال (ص) : يا أبا بكر « لكل قوم عيد ، وهذا عيدنا » الحديث متفق عليه .

وهذه السيدة عائشة تقول : رأيت رسول الله (ص) يسترنى بردائه ، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون فى المسجد . حتى أكون أنا أسأمه ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو » البخارى ومسلم .

وفى سنن أبى داود : أن امرأة جاءت رسول الله ــ صلوات الله عليه ، فقالت إنى نذرت إن رجعتَ من سفرك سالماً أن أضرب على رأسك بالدف ، فقال (ص) « أوفى بنذرك » .

وفى صحيح مسلم عن حنظلة بن الربيع قال : لقينى أبو بكر فقال : كيف أنت ياحنظلة ، قال ، قلت نافق حنظلة ، قال : سبحان الله ما تقول ؟ قال قلت : نكون عند رسول الله (ص) يذكرنا بالنار والجنة ، كأنا رأى عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله (ص) عافسنا (داعبنا

وخالطنا) الأزواج والأولاد والضيعات ، ونسينا كثيراً ، قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله (ص) فقلت : نافق حنظلة يارسول الله ؛ فقال رسول الله (ص) : ماذاك ؟ قلت : يارسول الله ، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة ، كأنا رأى عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا كثيراً ، فقال رسول الله (ص) : والذى نفسى بيده ، لو تدومون على ماتكونون عندى وفى الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ، ولكن ياحنظلة ساعة وساعة ثلاث مرار .

الاسلام دين بلغ حد الكمال من السماح ، ولكن أنّى لهؤلاء المتهوسين أن يفقهوا ؟

الاحتكار

إن من شر هذه المعوقات الاحتكار ، وكم لاقى الاسلام من عنت المحتكرين وتزمتهم ، هؤلاء الذين لا يرتضون الاسلام ، إلا إذا ظل بضاعة محتكرة فى أيديهم ، لا ينازعهم فيها منازع ، ولا يتدخل فى شؤونها كبير أو صغير .

هؤلاء المحتكرون يطلق عليهم العامة « رجال الدين » ، ويعتقد هؤلاء العامة المسلمون أن بينهم وبين الدين حجاباً ، وأنه لا يحق لهم أن يتحدثوا عنه أو يناقشوا فيه ، لأن الحديث والمناقشة فيه من حق رجال الدين وحدهم.

أما رجال الدين فإنهم يستعذبون هذه المهنة ، ويستعذبون معها جهل العامة وتخلفهم ، ويتمنون أن يظلوا ذوى طابع ممتاز يحوطه التقديس والإكبار ، وأن ينافسوا رجال الكهنوت ، حين يعتبرون أنفسهم أبناء الآلهة وألسنتها ، وأولى الناس بالتصرف فى ملكوت السماء .

ورجال الدين فى الريف والقرى هم مشايخ الطرق الصوفية ، ذوو العمائم الخضراء والحمراء والسوداء ، وهم من القدرة بحيث يجذبون جل السكان إلى الانخراط فى سلك طرقهم ، ليجنوا من ورائهم الضرائب المقررة ، ويحترفوا عن طريقهم الدجل والشعوذة والتغرير بالسذج البسطاء .

ورجال الدين فى العواصم الإسلامية هم العلماء الدينيون . . وهم يرغبون دائماً فى أن تكون لهم سلطة رجال الكهنوت فى العصور المظلمة ، باعتبارهم حماة الاسلام وحراسه ، والذائدين عن حياضه وحدوده.

والأولون لا نقاش لنا معهم ، لأنهم كمية مهملة ستنقرض إن قريباً وإن بعيداً ، وأما الآخرون ، فلا يستطيعون أن يأتوا بآية واحدة تمنحهم سلطة رسمية أو غير رسمية ، أو يجيز لهم اعتبار الاسلام بضاعة محتكرة ، يجب أن يكون لهم مطلق التصرف فيها دون غيرهم من المسلمين .

إن الاسلام يعتبر العلم الديني لوناً من ألوان العلم ، ويطلق لفظة العلماء ، على علماء الدين ، كما يطلقها على علماء التاريخ والفلك والطب والفلسفة والجغرافيا والكيمياء ، ولا يفرق بينهم ، لأن كلا منهم يضيء الطريق للإنسانية الحائرة .

إن القرآن الكريم تحدث عن العلم الشامل فى عشرات الآيات ، وذكر العلماء فى كثير من الآيات ، ولكنه لم يشر إلى العلم الدينى إلا فى آيات معدودات ، كما لم يميز علماء الدين عن غيرهم إلا فى آية أو آيتين .

وكذلك الرسول صلوات الله عليه — تحدث فى عشرات الأحاديث عن العلم والعلماء ، ولكن لم يكن للعلم الدينى ميزة على غيره ، كما لم يكن لعلماء الدين منها مايهب لهم السيطرة على دين الله وعلى عباد الله .

وقلنا إن العلم بشتى ألوانه يسعد الانسانية ، ويهب للبشرية حياة طيبة مستقرة ، وإذا كان العلم الدينى يضيء العقول ، وينير القلوب ، ويهدى الألباب ، ويصوغ الانسان فى بوتقة الاستقامة ، ويطبعه بطابع الخير — فإن ألوان العلم الأخرى من شأنها أن تعمل على إنهاض البشرية ورفعتها وتقدمها ، وتمهد لها فى حياتها سبل الراحة ، وأسباب النعيم والرفاهية .

والمسلمون الأولون لم يَدَعوا لوناً من العلم الدينى أو المادى إلا تعمقوا فيه ، وكان لهم قصب السبق فى كل ميدان من ميادينه ، ومن العجيب

المؤلم اننا نحن المسلمين فى ديارنا ، لانكاد نعلم شيئا عن علمائنا المسلمين السابقين ، الذين سبقوا أوربا فى علوم الطب والفلك والهندسة والكيمياء وغيرها ، ولكن أوربا هى التى تقدر أقدار أولئك الأفذاذ .

إذن فكلمة علماء الدين لاتؤدى إلا مدلول كلمة علماء الفلك والهندسة مثلا ، وكما أن علوم الفلك والطب والهندسة ليست محتكرة لصنف من الناس ، وإنما هى مشاع لكل من له القدرة على مباشرتها ، ولديه الموهبة التى تؤهله للأخذ منها فكذلك العلم الدينى بل هو أحق ، لأن تعلمه فرض على كل مسلم ومسلمة .

* * *

إن الدين يجب أن يكون متصلا اتصالا مباشراً بحياة الدولة الاسلامية ، حكومة وشعباً ونظاماً وقانوناً ، واحتكار طائفة له ، يجعل بقية المسلمين فى معزل عنه ، ومعذورين إذا هم تخلفوا عن الذود عنه ، بحجة أن رجال الدين وحدهم يجب أن يكونوا مسئولين عن الدين .

يحدث مثلا أن يشرع وضع أو يوضع نظام لايقره الاسلام ، ويحدث أيضاً أن يبرز فى المجتمع اتجاه يأباه الاسلام ، فتكون النتيجة أن يلتزم كل مسلم حدوده ، وإما أن يتحرك علماء الدين من تلقاء أنفسهم ، وإما أن يحركهم الغيورون حتى يتحركوا ، لأن علماء الدين فى نظر العامة يجب أن يكونوا وحدهم المسئولين عن الدين والأخلاق ، لأنهم الأوصياء وليس لغيرهم أن ينازعهم هذه الوصاية المزعومة .

منذ عشرة أعوام ، اتجه تفكير كثير من الوعاظ وأئمة المساجد إلى مكافحة هيئة إسلامية كبرى ، لأنها تنازعهم اختصاصهم . وتنافسهم فى ميدان لايحق لغيرهم الدخول فيه .

ومنذ أعوام مضت جلس احـــد ائمة المساجد ، وهو لا يملك من مظاهر العلم إلا شهادة العالمية ، ولا من مظاهر الدين إلا عمامته الضخمة — جلس هذا العالم الدينى يقول فى جمعية دينية : إن من نكد الدنيا على الاسلام ، أن يتصدى « حسن البنا » — لتفسير كتاب الله وهو ليس إلا مدرس خط ...!

وليست أمثال هذه الآراء فى حاجة إلى ذرة من التعليق ، ولكن الذى نود أن يفقهه هـذا الشيخ ، أن الدين ليس ملكاً له ولأمثاله ، وإنما هو ملك للمسلمين جميعاً ، ومسئوليتهم عنه ، لا تقل عن مسئوليته هو ، فمسئولية العالم الدينى تنحصر فى ناحيتين : الأولى أن ينشر العلم ولا يكتمه ، ولا يضن به ، والأخرى أن يعمل بما علم ، وليس هو وأمثاله وحدهم مسئولين عن كيان الدين ، بل يشاركهم المسئولية كل مسلم فى مشارق الأرض ومغاربها .

هذا الصُّداع

المعارك الهزيلة

إن المعارك الهزيلة باسم الاسلام أكثر من أن تحصى أو تعد ، وكأن رسالة الاسلام لم تأت إلا لتخلق عقولا متنافرة لا تجيد غير الجدل ..

ولو أن هذه المعارك الهزيلة بين مسلمين وغير مسلمين لكان لنا رأى فى هذه المعارك ، علما بأن الاسلام لم يجىء إلا ليوجد أمة تشمل العالم بأسره ، ويربط بين أفراده وجماعاته بروابط الأخوة والانسانية .

وفى سبيل هذه الروابط نهى أن يجادل المسلمون أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن .

وأحق الناس باحترام هذه الروابط هم المسلمون أنفسهم ، ولا يقر الاسلام أى مجال يتنازعون فيه .

ولكن المسلمين أغفلوا هذه المعانى ، ودفعهم حب الظهور ، وشهوة الجدل ، إلى هذا التفرق الذى يهدم كيان الاسلام .

ولقائل يقول : إن المسلمين منذ العصر الاسلامى الأول ، والرسول بين أظهرهم كانوا يختلفون ، ولكن ليفهم هذا القائل أن اختلافهم لم يكن إلا اختلافاً فى الرأى ، ولم يكن هناك تعصب يختفى وراء آرائهم ، يقلب الحق باطلا ، والباطل حقاً ، ويمزق أواصر أخوتهم ، ويصيِّر حياتهم مزيجاً من الجدل والنزاع .

ولقد جاء القرآن حريصاً كل الحرص على صون وحدة المسلمين من أن تمزقها الاختلافات ، وعلى صون أخوتهم من أن يصيبها الجدل المعقد بالاضمحلال .

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » ١٥٣ — الأنعام

« إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء » ١٥٩ الأنعام.

وطالما أكد الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — الحرص على وحدة المسلمين من الخلاف الذى يصيبها بالوهن ، واعتبر أن النيل من هذه الوحدة هو الكفر بنفسه ، ألا تراه يقول :

« لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » رواه الجماعة .

« من فارق الجماعة شبراً ، فقد خلع رِبقة الاسلام من عنقه »

رواه أبو داود

إن هناك مرجعين للمسلمين كفيلين بصون وحدتهم من أن ينالها ذرة من الضعف ، هما كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام ، وقد لفت القرآن أذهان المسلمين إلى هذين المرجعين ، ليكونا بمثابة الحَكم لهم إذا ما حاول الشيطان أن ينزغ بينهم ، وحاولت الأهواء أن تعبث بوحدتهم ، ولا يتمرد على هذين المرجعين إلا مارق من الاسلام أو منافق يضمر له كيداً :

« ... فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا — ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ، وقد أُمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً — وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً » ٥٩ — ٦١ النساء .

والرسول عليه السلام ربط هداية جماعة المسلمين بهذين المرجعين ، واعتبرهما أقوى ضمان لهم من الزيغ والضلال .

« تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتابَ الله وسنة رسوله » أخرجه الموطأ .

* * *

وأشياع هذه المعارك الهزيلة من المسلمين المتنطعين ، لم يعدموا وقوداً لمعاركهم ، فهم يتلمسون حتى أتفه المسائل التى لايحفل بها إلا صغار العقول ، يتلمسون هذه المسائل التافهة ، ليظل ميدانهم صاخباً ، عامراً بالجدل الذى ينم عن السفه والحمق .

المعجزات :

إن المعجزات للنبى محمد عليه السلام من وقود هذه المعارك الهزيلة ، فهؤلاء يرون أن معجزات النبى تتفق مع منطق رسالته وفلسفتها ، وأن الأمور الخارقة للعادة ، والظاهرة للعيان ، كمعجزات الأنبياء السابقين ، ليست شرطاً فى معجزاته .

أما أولئك ، وهم فى الغالب من الجحافل الجهلاء ، فيثورون ، ويعلنونها حربا شعواء فى غير ماحاجة اليها ، ويأبون إلا أن يكون لمحمد معجزات خارقة للعادة ، لأنه ليس أقل من موسى أو عيسى أو إبراهيم أو نوح .

وهم لايتنازلون عن إضافة كل ماحدث من معجزات للرسل السابقين إلى النبى عليه السلام ، وكأن أفهام المسلمين فى نظرهم أحط من أن تدرك عظمة الاسلام وعظمة محمد إلا بهذه الخوارق .

وأنت إذا جلست فى حفل لإحياء ذكرى ميلاد الرسول ، بمسجد من المساجد أو بغيره ، سمعت العجب العجاب مما لا يقره دين ولا عقل ولا منطق .

إن شخصية محمد تُعرَض عرضاً لا يليق إلا بشخص جاء ليقدم للعالم ألواناً من الخوارق التى تخطف الأبصار .

وأشياع الخوارق يحوطون شخصية محمد عليه السلام بكثير من هذه الخوارق ، التى لزمته منذ أن كان جنيناً فى بطن أمه ، إلى أن لقى الله عز وجل .

فيوم ولادته شاهدت أمه الأرض تنشق عن نور وصل إلى عنان السماء ، وحضرت ولادته آسيا امرأة فرعون ومريم بنت عمران ، وولد مكحولا مختوناً ، ورأت أمه الأنبياء واحداً واحداً فى منامها يبشرونها بولادته ، وانطفأت نيران فارس ، واهتز إيوان كسرى . وتسلمته حليمة مرضعه ، فدر لبنها بعد أن كان غائراً ، وكانت تشاهد غمامة تظله إذا سار فى الشمس ، ولم يكد يتخطى العاشرة من عمره حتى أتاه مَلَكان ، فأخذاه وشقا صدره وملآه علما وحكمة ونوراً .

ويقولون : إن الماء نبع من بين أصابعه ، والحجر نطق بين يديه ، والغزالة شكت إليه قسوة الصياد ، والجذع بالمسجد حن إليه ، والحصى سبح بين يديه ، وفى إحدى الغزوات رد عين قتادة بعد أن اقتلعت فى الميدان ، وكسر سيف عكاشة فالتقط عوداً من الأرض وسلمه إياه ، فصار فى لحظات سيفاً بتارا قتل به العشرات .

وهناك من تخصص فى هذه الخوارق من أمثال « البيهقى » فى كتابه « دلائل النبوة » الذى بلغ عدة مجلدات ضخمة ، وهناك غيره لم يكن له

هدف فى حياته سوى الاهتمام بالمعجزات ، يتلمسها من أوهى الأحاديث المنسوبة إلى الرسول ، ويلتقطها من تأويلات أضعف التفاسير القرآنية ، فراح يصنف ويرتب ، معتقداً أن فى عمله هذا ما يقربه إلى الله عز وجل .

وقد يثور ثائر من الجهلة المتنطعين على هذا العرض ، ويتهمنا بأننا ممن ينكرون المعجزات للنبى صلوات الله وسلامه عليه ، ثم لا يسعه إلا أن يرمينا بالكفر ، وأننا نمرق من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية .

نحن لا ننكر أن الله قادر على أن يمد محمداً بملايين المعجزات إذا احتاجت ظروف رسالته إليها ، ولكن الذى ننكره ، أن تحاط شخصيته منذ ولادته إلى وفاته بسلسلة متصلة من الخوارق ، لنصرف الأذهان عن معانى رسالته الحية ، التى تنهض بالانسانية والبشرية من الحضيض الى القمة .

ولا ننكر ما اقتضته ظروف الرسالة من الأمور الخارقة التى سجلها القرآن الكريم ، والأحاديث المتواترة ، إن كان هناك حديث متواتر أو أكثر فى هذا الصدد ، والأحاديث الصحيحة التى يقبلها المنطق السليم .

« ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون — إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة مُنزَلين » ١٢٤ — آل عمران .

« إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين — وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم ، وما النصر إلا من عند الله ، إن الله عزيز حكيم — إذ يغشيكم النعاسَ أَمَنَةً منه ، وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ، ويذهب عنكم رجز الشيطان ، وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام » ٩ — ١١ ـ الأنفال .

« .. فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها » ٤٠ — التوبة .

« يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها » ٩ — الأحزاب .

هذه بعض الأمور الخارقة التى سجلها القرآن ، ولا يمكن لأحد أن ينكرها ، أو حتى يؤولها ، وهى أمور اقتضتها ظروفها .

ثم إن منطق الدعوة الاسلامية لم يكن فى حاجة إلى الآيات الخارقة التى لم تخل منها الرسالات التى سبقتها ، وذلك لأسباب منها :

أولا : أن الرسالات السابقة كانت رسالات محدودة الزمان والمكان ، والآيات الخارقة يمكنها أن تنتشر فى الأماكن المحدودة وإلى الوقت المحدد ، لتكون دليلا على أن الرسل مؤيدون من الله عز وجل .

أما الرسالة المحمدية ، فهى رسالة غير محدودة المكان ، لأنها جاءت للناس كافة ، وغير محدودة الزمان لأنها آخر الرسالات ، ويجب أن تظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولذلك كانت معجزة الرسالة المحمدية الخالدة هى كتاب الله ، الذى يمكنه أن يعم الآفاق ، وأن يظل إلى الأبد .

ولهذا الرأى سند من كتاب الله نفسه .

« وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه ، قل إنما الآياتُ عند الله ، وإنما أنا نذير مبين — أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ، إن فى ذلك لرحمةً وذكرى لقوم يؤمنون » ٥٠ ، ٥١ — العنكبوت

وفى آيات أخرى أشار القرآن إلى أنه هو المعجزة الكبرى ، الخالدة ما خلدت السموات والأرض ، ورغم هذا فإن المتمردين ألحوا فى طلب

الآيات الخارقة للعادة ، لأن عقلياتهم كانت أقرب إلى عقليات الصبية منها إلى عقليات الكبار المفكرين ، وقد رد القرآن عليهم ، بأن منطق هذه الرسالة ليس كمنطق ما سبقها من الرسالات ، وأن شخصية محمد أرفع من أن تحاط بالآيات الخارقة كمقياس لتقديرها .

« قل لئن اجتمعت الإنسُ والجن على أن يأتوا بمثل هـــذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً — ولقد صرفنا فى هـذا القرآنِ من كل مثل فأبى أكثرُ الناس إلا كُفوراً — وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض يَنبوعاً — أو تكونَ لك جَنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً — أو تسقطَ السماء كما زعمت علينا كِسفاً أو تأتىَ بالله والملائكة قَبيلا — أو يكونَ لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزّل علينا كتاباً نقرؤه ، قل سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولا » ٨٨ — ٩٤ — الاسراء

ثانياً : أن الآيات الخارقة التى حدثت فى عهود المرسلين السابقين ، لم تكن وسيلة إلى الاقناع والايمان ، اللهم إلا فى حالة واحدة على وجه التقريب ، حين ألقى موسى بعصاه فآمن السحرة ، ولم يكن السحرة هدف هذه الآية ، وإنما كان هدفها فرعون وقومه — هؤلاء الذين ازدادوا بها كفراً وطغياناً ، وقد كان إعراض الأمم السابقة عن الآيات الخارقة ، وسخريتها منها : هو السر فى عدم حدوث آيات خارقة فى عهد الرسالة المحمدية :

« وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ... »

٥٩ — الاسراء

ولقد وضح القرآن أن الناس إزاء الرسالة المحمدية ، لن يكونوا أقل تمرداً على الآيات الخارقة ، ولا أقل سخرية منها وإعراضاً عنها :

« ولو نزلنا عليك كتاباً فى قرطاس فلمسوه بأيديهم ، لقال الذين كفروا إنْ هذا إلا سحر مبين » ٧ — الأنعام

« وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ، قل إنما الآياتُ عند الله ، وما يُشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون » ١٠٩ - الأنعام

« ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ، ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ، ولكن أكثرهم يجهلون » ١١١ — الأنعام

ولسنا ندرى لم يصر هؤلاء المتعصبون على أن يكون لمحمد آلاف المعجزات ، إذا كانوا يريدون إكرامه بها ، فتكليفه الرسالة وحده إكرام لايدانيه إكرام ، وإن كانوا يريدون تأييد رسالته بها ، فإن نشرها رغم جبروت أعدائها ، وانتصاراتها فى الغزوات ، وثبوتها هذه القرون الطويلة فى عدة ميادين ، وتسربها إلى ماوراء البحار — إن فى هذه كلها لأكبر دليل على تأييدها من الله عز وجل .

أما إذا كانوا يريدون الغلو ، والانسياق وراء العاطفة الكاذبة ، فهو الجهل والسفه والحمق ..!

ولسنا ندرى لم يصر هؤلاء المتعصبون على أن يثيروها حرباً شعواء من أجل هذه المعجزات ، التى لا ترفع من قدر محمد إذا ثبتت له ، ولا تحط من شأنه إذا لم تثبت له ، وحسبه كتاب الله تعالى معجزة خالدة لرسالته .

إننا إذا أردنا أن نغزو قلوباً لم تشرق فيها شمس الاسلام بعد ، لن يكون سلاحنا إلا القرآن الذى يحمل بين دفتيه معانى الاسلام الحية ، وسوف نكون موضع سخرية هذه القلوب، إذا كان ما نحمله من سلاح ، هو حفظ بعض قصص عن تسبيح الحصى بين يدى الرسول ، وحنين الجذع إليه ، وتكليم الضب له ... وما إلى ذلك .

فمتى يفقه هذا هؤلاء المتعصبون ..؟

* * *

التوسل :

والتوسل أيضاً من وقود هذه المعارك ، التى لم يزل يشعلها صغار العقول من المحسوبين على الاسلام ظلماً وعدواناً .

وللتوسل بالصالحين أحزاب تناصبه العداء ، وتكفر المتوسلين الساعين إلى الأضرحة طلباً للبركة ، ورجاء لقضاء حاجاتهم ، ولا تأخذهم فى تكفيرهم هوادة ولا رحمة .

وهؤلاء الأعداء لهم جماعات دينية لا هدف لها إلا محاربة التوسل ، وتعتبر أن هدفها لايقل خطراً عن هدف الرسالة المحمدية فى أول طور من أطوارها ، ولهم مجلات دينية تنطق بألسنتهم ، وتسوق فى كل صفحة من صفحاتها عشرات الآيات القرآنية ، وعشرات الأحاديث النبوية ، كدليل ناطق بتكفير المتوسلين بأصحاب الأضرحة ..!

وللتوسل أيضاً ، أنصار وأشياع يتعصبون له ، ويتهمون أعداءه بالزندقة والالحاد والمروق من الاسلام ، ولهم جماعات دينية ، ومجلات دينية ، تكافح فى سبيل عقيدتهم البلهاء . . !

وهؤلاء الأشياع والأنصار ، يأخذون من القرآن والأحاديث النبوية وآثار السلف الصالح ما شاءوا لعقيدتهم ، ويكيّفون ما يأخذون حتى يتفق مع أهوائهم .

وبين هؤلاء وأولئك حرب ضروس لا يخمد لهيبها ، وعداء مستحكم لم يكتب له بعد أن يخف ولو قليلا ، وليست لهذه الحرب ، وذاك العداء أسلحة ، سوى السب واللعن والقذف .

وكلا الجيشين ، يسيطر على جزء من الرأى العام الاسلامى فى كل مكان ، يشغله بهذه المعركة الهزيلة ، دون أن يصرفه عنها حتى أفدح الأحداث التى تصيب الاسلام والمسلمين وأوطانهم ، والفريق الأول لا يعترف بالمنطق ولا بالحكمة والموعظة الحسنة ، فى تحويل الجهلة المتوسلين عن جهلهم وغباوتهم ، ولا يتنازل عن تكفيرهم ونعتهم بالوثنيين ، ملتمساً لهم من جهلهم عذراً ، وأصبح متخصصاً فى هذه الناحية ، حتى أصبحت شهوة البروز والظهور — لا عقيدة الاسلام — هى التى تدفعه وتحركه ، وتقوده إلى المعركة الهزيلة الفاضحة .

والفريق الآخر ، لا يقر منطقاً ، ولا يقنع بحجة ، ولو سقت إليه ألف آية قرآنية ، وألف حديث نبوى ، لا يتنازل عن التوسل ، لأنه يعده جزءاً من عقيدته .

والذين يقدر لهم أن يصلوا فى المساجد ذات الأضرحة ، يرون العجب العجاب من الجهل المطبق الذى يثير كوامن الألم .

كتل بشرية تظل ساعات لاصقة أفواهها بجدران الأضرحة ، متوسلة بمن فيها ، وهذه الكتل تأتى من شتى البقاع ، راجية قضاء الحاجات كبيرها وصغيرها ، ومن هذه الكتل من لا يكفيه التوسل

بلسانه ، فيلجأ إلى كتابة حاجته فى ورقة ، وإلقائها بداخل الضريح ، حتى لاينسى حاجته الراقد فيه .

وأنت لاتقوى على نصح هذه الكتل البشرية ، وإرشادها إلى أن الله قريب منا ، يجيب دعوة الداع إذا دعاه ، وأنه وحده هو القادر على قضاء حاجاتنا ، وأن أصحاب الأضرحة عبيد الله مثلنا ، لايملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ... أنت لاتقوى على نصح الكتل البشرية الجهلاء ، لأنه لاطاقة لك بسفاهتها وحمقها ، ولا طاقة لعقلك بفلسفتها العرجاء حين تنطلق ألسنتها ، بأن هؤلاء أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ، وهم أحياء عند ربهم يرزقون ، وهم أقرب الى الله منا ، ونحن لانقصدهم ليقضوا لنا حاجتنا ، وإنما نقصدهم متوسلين بهم الى الله فى قضاء هذه الحاجات .

والكثير من هذه الكتل البشرية الجهلاء ، يعتقد أن فى زيارة الأضرحة تقرباً إلى الله ، ينال عليها أجل الثواب ، وهو يدخر من قوته الضرورى ليقطع مئات الأميال ، لزيارة الأضرحة ، تاركاً أسرته وأعماله ، وربما كان بيته فى مسيس الحاجة إلى كل مليم من نفقات رحلته المباركة ..!!

إن بعض الجهلة يعتقد أن من زار ضريح السيد أحمد البدوى بطنطا بالديار المصرية سبع مرات ، احتسبت له الزيارات السبع حجة ، تغنيه عن حج بيت الله الحرام ، وعلى هذه العقيدة يحرص كثير من هؤلاء الجهلة على قضاء الزيارات السبع ، حتى لايكلفوا أنفسهم مشاق الحج ومتاعبه .

وكم فى التوسل من مهازل ابتكرتها جهالة أشياعه ، وصاغتها عقولهم المخرفة .

وليست جناية التوسل قاصرة على هذه الخرافات ، وإنما الجناية الكبرى هى المعارك الهزيلة الصاخبة بين أشياع التوسل وأعدائه ، والتى تشغل كمية من المسلمين عن معالى الأمور ومهامها ، وتضرب بمعول من حديد لتمزيق وحدتهم التى أرادها الله لهم ، لتصون قوتهم وتحفظ كيانهم وتصد عنهم غارات العدو .

* * *

كرامات الأولياء :

وكرامات الأولياء أيضاً من وقود المعارك الهزيلة ، وأنصارها وأعداؤها هم أنصار وأعداء التوسل ، وكلا الفريقين متعصب لرأيه ، تتفق عقليته عن عبقرية عمياء فى التأويل ، وإفساد معانى القرآن والحديث النبوى .

ولسنا ندرى ماذا يضير الاسلام ومنكرى الكرامات أن تجرى الأمور الخارقة على أيدى الصالحين ، وماذا يضير الاسلام وأنصار الكرامات ، ألا تجرى هذه الأمور الخارقة على أيدى الصالحين ؟

وهل لم يبق مايهم المسلمين المستضعفين ، وأوطانهم المنكوبة ، ودينهم المضطهد ، إلا كرامات الأولياء والصالحين ؟؟

إن هذه المعركة لمن أهزل المعارك التى يثيرها الغوغاء من المسلمين الجهلة ، والمتعصبين الحمق ، فهذه المسألة لا تخص العقيدة فى شىء ، ومادام لم يَرِد فيها آيه صريحة ، ولا حديث نبوى متواتر ، فلا يحق لأنصارها أن يتعصبوا لها ، ولا يعتبر منكروها عصاة أو زنادقة .

بل إن اعتقاد الجهلة فى الكرامة ، سوّل لكثير من الدجالين

استغلالها فى الاحتيال على البسطاء من الدهماء ، وإن كثيراً من المحتالين ليتوارون وراء تقوى مزيفة ، وصلاح دخيل ، ليبيعوا الكرامات للسذج بأبهظ الأثمان .

والكرامات المزعومة إنما يتخيلها أتباع الصالحين ، ومعظمهم من مشايخ الطرق الصوفية البلهاء ، ومنها ما هو أكبر من الخيال ، ومما لا يقره حتى أحط المعتوهين عقولا .

ولو حاولت أن تعارض هذا الخيال الخصب فى الكرامات المزعومة ، لأجابك منطق الجهلة : إن الله قادر على كل شىء ..!

وبهذه الإجابة المقتضبة ، يحتم علينا أن نصدق مثلا ، أن السيد أحمد البدوى صاحب الضريح المشهور بطنطا — بالديار المصرية — كان يبرىء الأكمه والأبرص والمقعد والأعمى ، وأن إبراهيم الدسوقى صاحب الضريح المشهور بدسوق — بمصر — استطاع أن يخلص أمه من قبضة سفاح أراد بها سوءاً ، وهو جنين فى بطنها ، وأن جلال الدين السيوطى صاحب الضريح المشهور بأسيوط بمصر ؛ رأى النبى فى اليقظة نيفاً وعشرين مرة ، وكان يصحح عليه بعض الأحاديث النبوية .

* * *

وليست المعجزات ولا التوسل ولا الكرامات وحدها ، هى وقود هذه المعارك الهزيلة ، وإنما هناك قضايا أخرى . ومسائل من التفاهة بمكان ، يقدمها الغوغاء من المسلمين الحمق وقوداً لها .

فهناك معركة تثار كلما حان يوم الإسراء والمعراج ، ففريق يرى أن الإسراء والمعراج ، كان بجسد النبى وروحه ، والفريق الآخر يرى أنهما كانا بروحه فقط .

وفى صخب المعركة تتلاشى العظة والعبرة من قصة الإسراء والمعراج .

وهناك معركة تشتعل كلما حلت ليلة الخامس عشر من شهر شعبان ، من أجل ليلة النصف ، فجماعة تتعصب لهذه الليلة ودعائها المشهور ، وجماعة ترى أن هذه الليلة بدعة من وضع المخرفين الجهال .

وهناك الأذان للصلاة ، فهؤلاء يؤذنون أذاناً شرعياً لا زيادة ولا نقص فيه ، ولكنهم متهمون بالوهابية ، ومحكوم عليهم بالحرمان من شفاعة الرسول ، وأولئك لا يكتفون بالأذان الشرعى بل يزيدون عليه عبارات الصلاة على الرسول المشهورة ، ولكنهم متهمون بالابتداع ، ومخاطتهم حرام ، والصلاة خلفهم مكروهة كراهية التحريم .

وإذا كان للفريق الأول منطقه ، فلا تكاد تجد منطقاً للفريق الآخر ، اللهم إلا التأويلات الواهية لبعض الأحاديث النبوية . وبين الفريقين معركة طاحنة لا تعرف الخمود ولا الهدوء ، لأن الحماقة المسيطرة على العقول أقوى من أن تتلاشى — فى سبيل وحدة المسلمين وصونها من التفرق والتنازع .

ولو أردنا أن نحصر المسائل التافهة التى تشتعل من أجلها المعارك الهزيلة ، لضاق بها أمثال هذا الكتاب ، ولسنا ندرى ... إلى متى تظل هذه المعارك الهزيلة تمزق وحدة المسلمين ، وتورث صدورهم الشحناء والبغضاء ، وتشغلهم عن النكبات التى تحدق بهم وبدينهم وبوطنهم من حين لآخر !!؟ .

التصوف

أعتقد أن الطرق الصوفية المنتشرة فى بلاد المسلمين بحالتها الراهنة ، لاتعتبر إلا معول هدم للإسلام من أساسه .

ولو كانت هذه الطرق الصوفية البلهاء تمثل فكرة بعيداً عن محيط الإسلام ، لهان أمرها ، وخف خطبها ، ولكنها أُلصقت بالإسلام بهتاناً وزوراً ، وهى ليست من الإسلام فى شىء ، ولا زال الجهلة من المسلمين ، وكذلك المستشرقون ورجال الفكر الغربيون ، يعدونها أصلا من أصول الإسلام ، وهى لا تمت إلى الإسلام بصلة .

ولابد أن نفرق هنا بين التصوف والطرق الصوفية ، نفرق بين التصوف كنزعة تغلغلت فى القلوب قروناً ، وشغلت أذهان المسلمين وغير المسلمين ، ولا زالت آثارها تدرس وتبحث ، ويختلف فيها الفلاسفة وغيرهم ... نفرق بين نزعة التصوف هذه ، وبين الطرق الصوفية كحرفة يحترفها العاطلون والدجالون والمحتالون ، ويخدع فيها الجهلة من العامة الذين يخطف أبصارهم بريق المظاهر .

ولاخلاف فى أن الصوفية كنزعة ، إنما بدأت فى منتصف القرن الثانى الهجرى .

وكانت الشيعة هى التى وضعت أول لبنة فى هذه النزعة ، لتخدم أغراضها وتحقق أهدافها .

ولهذه النزعة الصوفية فلسفة ، تختلف باختلاف أفكار أساطين

المتصوفة ، وقد تأتى فلسفة البعض منهم أحياناً مما يقره العقل والدين ، وقد تأتى فلسفة البعض منهم أيضاً ، مما لايعترف به ولا يقره العقل ، وفى كثير من الأحيان تأتى فلسفة النزعة الصوفية مزيجاً من الطيب والردىء ، مما يدع أفهام الناس حياله مضطربة مرتبكة .

يرى الكرخى أل التصوف . هو الأخذ بالحقائق واليأس مما فى أيدى الخلائق » — من الرسالة القشيرية .

ورأى الكرخى هذا يعتبر من أقدم الآراء وأكثرها اتزاناً .

وإذا تركنا رأى الكرخى إلى غيره من زعماء الفلسفة الصوفية ، وجدنا أمامنا آراء هى غاية فى الحماقة والتعقيد .

فسمنون مثلا يرى أن فلسفة التصوف : هى ألا تملك شيئاً ، ولا يملك شىء » — من كتاب اللمع فى التصوف للسراج الطوسى .

وسئل الحصرى عن الصوفى فقال : هو الذى لاتقله الأرض ولا تظله السماء » — من كتاب التصوف الإسلامى العربى .

ويرى أبو يزيد البسطامى : أن فلسفة التصوف هى الجوع والعطش ، وأن الإنسان الصمدانى لا يأكل غير مرة واحدة فى ثمانين يوماً .

« الرسالة القشيرية »

وإذا تركنا هذه الآراء الحمقاء ، وجدنا هناك أراء جاءت مزيجاً — كما قدمنا — من الطيب والردىء ، مما لاطاقة للعقول بتكييفها :

قال رويم بن أحمد البغدادى :

التصوف مبنى على ثلاث خصال :

« التمسك بالفقر والافتقار ، والتحقق بالبذل ، وترك الغرض والاختيار » — الرسالة القشيرية .

وفى كتاب التعرف فى التصوف : التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية ، ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، وإخماد الصفات البشرية ، ومجانبة الدواعى النفسانية ، ومنازلة الصفات الروحانية ، والتعلم بالعلوم الحقيقية ، واستعمال ما هو أولى على الأبدية ، والنصح لجميع الأمة والوفاء لله على الحقيقة ، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فى الشريعة .

وقد أدت هذه الفلسفة المعقدة الحمقاء إلى كثير من الشطحات التى تهدم كيان الشرع ، وتعطل سنن الحياة كما أرادها الإسلام لاستقرار هذه البشرية .

قال بعضهم : العارف لايستقبح قبيحة ولا يستحسن حسنة » .

وقال بعضهم : « العارف لاينكر منكراً لاستبصاره بسر الله فى القدر » (١) .

وسئلت رابعة العدوية : لم لا تتزوجين ؟ فأجابت :

« هذا يتعلق بمن له حرية الاختيار ، أما أنا فملك لله ولا أملك نفسى لأهبها » — التصوف الإسلامى العربى .

وهناك مراجع كثيرة لهذه الشطحات التى طعنت الشريعة الإسلامية فى ظهرها ، وأهم هذه المراجع : « الرسالة القشيرية » ، ولواقح الأنوار » للشعرانى ، « وحلية الأولياء » لأبى نعيم ، « وتذكرة الأولياء » لفريد الدين العطار ، « وديوان المسنوى » لجلال الدين الرومى ، وهو يحوى ٢٧٠٠٠ بيت من الشعر ، « وقوت القلوب » لأبى طالب المكى ؛ وإحياء علوم الدين » للغزالى ، « والتعرف لمذهب أهل التصوف » للكلاباذى .

---

(١) « رسائل الإصلاح » للسيد محمد الخضر حسين .

« واللمع فى التصوف » للسراج الطوسى ، « والفتوحات المكية » لابن عربى ، ومؤلفات السهروردى والحلاج وشعر ابن الفارض .

* * *

وقد أدت مثل هذه الشطحات إلى إزهاق أرواح بعض فلاسفة المتصوفين ، وفى مقدمتهم « الحلاج » الذى قتله شرعاً وزير الخليفة المقتدر عام ٣٠٩ هـ ، والسهروردى المقتول ، الذى قتل بأمر صلاح الدين الأيوبى عام ٥٨٧ هـ

كما أدت فلسفة النزعة الصوفية إلى كثير من النظريات الهدامة ، وأبرز هذه النظريات : نظرية الحلول ووحدة الوجود ، والكشف والتجلى والتصرف ، والذى لا شك فيه أن هذه النظريات مستمدة من الأفلاطونية الحديثة . والبوذية ، والاسماعيلية الباطنية ، والرافضة وغيرها .

* * *

وقد أنبتت نظرية وحدة الوجود نظرية وحدة الأديان . وهذه النظرية من أخطر النظريات الهدامة ، وقد اعتنق هذه النظرية الحلاج وابن عربى وابن الفارض ، وجلال الدين الرومى وغيرهم .

يقول ابن العربى : لا تنصرف بكليتك عن كل الأديان إلى دين واحد ، فتكفر بكل ماجاءت به ، فتخسر كثيراً ، فالله عام للجميع لا يختص بفرقة دون فرقة ... ألم يقل جل جلاله : « أينما تولوا فثم وجه الله » من كتاب التصوف الإسلامى العربى .

وقد كانت نظريته هذه سافرة فى شعره — كما جاء فى بعض مؤلفاته حيث يقول :

لقد صار قلبي قابلا كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالدين ديني وإيمـــانى

أما القرآن الكريم فقد كان ألعوبة فى أيدى هؤلاء الفلاسفة المتصوفين ، مستغلين سذاجة العامة من ناحية ، ومن ناحية أخرى انشغال الدولة الإسلامية بحروبها الخارجية ، واختلافاتها الداخلية ... والإسلام لم يزل إلى اليوم يعانى شرور النزعة الصوفية ، فى المؤلفات الضخمة التى تركها زنادقتهم ، وفى هذه الفرق الباطنية المنتشرة فى الشرق الإسلامى ؛ لاسيما الهند ، وفى مقدمتها الاسماعيلية ، والبابلية والبهائية والقاديانية وغيرها .

الطرق الصوفية :

كان لابد للنزعة الصوفية من تنظيم يجمع حولها الأشياع والأنصار ، ويربط قلوبهم وأرواحهم وعقولهم بها .

فنشأت بعد منتصف القرن الثالث الهجرى الطريقة السقطية نسبة إلى السرى السقطى ، والجنيدية نسبة إلى الجنيد ، ثم نشأت بعد ذلك طرق صوفية كثيرة فى القرنين السادس والسابع ، أهمها : القادرية نسبة إلى عبد القادر الجيلى ، والرفاعية نسبة إلى أحمد الرفاعى ، والشاذلية نسبة إلى أبى الحسن الشاذلى ، والمولوية نسبة إلى جلال الدين الرومى ، والأحمدية نسبة إلى أحمد البدوى .

وكان لهذه الطرق سلوك فيه القليل من الاتزان ، وآخر يفيض سفها وشططا ، كما كان لها اتجاهات ثلاثة هى غاية فى الخطورة :

أولها : أن تصبغ المريد بصفة الفناء فى شيخه ، حتى يعتبره دينه ومذهبه ، ودنياه وآخرته ، وماضيه وحاضره ومستقبله .

وثانيها : أن تصرف المريد عن الدنيا ، وتعزله عن وحدة المسلمين وشؤونهم ، ومهام أمورهم التى تتعلق بكيان دولتهم ، وتطبعه بطابع الدعة والتواكل والخمول .

وثالثها : أن تجعله يعيش فى جو غامض ، مشبع بالألغاز المعقدة ، ملىء بالخيالات والأوهام ، وتسيطر على عقله . حتى تجعل بينه وبين روح الشريعة جفاء مستحكماً .

والطرق الصوفية التى لم تزل على مسرح المجتمع الأسلامى ، فى هذا الشرق المتخلف عن ركب الإسلام الصحيح ، تأثرت تأثراً كبيراً بهذه الاتجاهات الحمقاء ، وازدادت حمقاً بها ، تبعاً للمريدين الذين أصبحوا اليوم من السذج البسطاء ، والجهلة الأغبياء ، وأشياع البطالة ، وتبعاً لشيوخها الذين احترفوا الطرق كمورد للارتزاق ، ووسيلة للعيش ، ومصنع لنماذج من الدجل والشعوذة والتغرير .

ونحن لانكاد نجد حرفة لهذه الطرق الصوفية البلهاء سوى الارتزاق ، والدجل والهدم فى كيان الإسلام بمعاول من فولاذ .

إن بعض أتباع هذه الطرق من المجاذيب لايقيم الفريضة فى مساجد المسلمين ، ولا يمكنك الاعتراض عليه ، لأنه يصليها مع النبى فى البرزخ .

وبعض المجاذيب يشرب الخمر علناً ، ولا يمكنك الاعتراض عليه لأن الله يصيرها له عسلا مصفى ..!

وبعضهم يشرب الخمر لينفر بها الملائكة ، الذين لا يدعونه يحظى من النوم بلحظات ...!!

والكثرة الساحقة من أتباع الطرق يحترفون البطالة بحجة أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين — وفى السماء رزقكم وما توعدون . !

وهؤلاء لا عمل لهم طول العام إلا التنقل من بلد إلى آخر لزيارة أضرحة الأولياء والصالحين ، رغبة فى نيل البركة ، والتماس الخير ، وطلباً للأجر من الله ... لأن خطواتهم لم تكن إلا فى سبيله !

حتى ذكر الله لم يسلم من تحريف هؤلاء الحمق ... فلا زال أتباع الطريقة الشاذلية يذكرون الله بهذه الألفاظ .

آه ــ إيه ــ أه ــ أوه ..!

ولا يزال أتباع بعض الطرق الأخرى يلهجون بذكر الله لهجات أقرب إلى الألغاز منها إلى الألفاظ ، ولهم تفسيرات لا يقنع بها سوى المجانين والمعتوهين .

وهل للطرق الصوفية اليوم رسالة تؤديها نحو الإسلام أو أوطانه ، أو شعوبه أو مجتمعه ؟

اللهم سوى ما ذكرنا من الفوضى باسم الإسلام .

إذا كانت هذه الموالد التى تظل طول العام فى حركة دائبة هنا وهناك ، هى رسالة الطرق الصوفية ، فاللهم إن الإسلام لفى غنى عنها .

وإذا كانت حلقات الأذكار الصاخبة التى نشاهدها فى الشوارع والميادين وأمام المساجد ، هى رسالة الطرق الصوفية ، فاللهم إن الإسلام ليس فى حاجة إليها .

إذن فلم تظل هذه الطرق الصوفية تخدم الاستعمار فى الدول الإسلامية المستعمرة ، لأنها تسيطر على جزء من الرأى العام ، وتغمض أعينه عن وصمة الاستعمار . ؟

إن سفارات الاستعمار فى كل دول المسلمين تعنى بالطرق الصوفية . وتكافىء شيوخها بمكافآت سخية ، حتى يواصلوا نشاطهم من أجل الاستعمار وعيون الاستعمار .

وهى أيضاً تخدم الحكم الأقطاعى الجائر ، لأنها أيضاً تغلق أعين

مريديها عن فوضى الحكم ، وتصب فى آذانهم ، أن الاعتراض على الأوضاع الفاسدة ، هو اعتراض على قدر الله ومشيئته .

ولا أنسى — قبل ثورة الجيش — يوم كنت فى أحد مساجد القاهرة خطيباً ، وكان موضوع الخطبة تنديداً بالحكم الأقطاعى ، والأوضاع الفاسدة ، وسكوت الرأى العام الذى تخلف عن واجبه .

ولم أكد انتهى من الصلاة حتى تربع أمامى شيخ ، وأخذ فى أسلوب لين يعترض على موضوع الخطبة قائلا : ما علينا إلا أن نسلم بكل وضع ، لأن مشيئة الله اقتضته ، وليس فى الإمكان أبدع مما كان ، ألم يقل الله عز وجل : دع الملك للمالك ، والخلق للخالق ، والدين للديان ..؟!!

ولم أستطع أن أجيب شيخ الطريقة ، بأكثر من نظرة ساخرة من عمامته الضخمة الحمراء ، ولحيته الكثة المغبرة . !

وهذه الطرق الصوفية بحالتها الراهنة ، هى التى نعلن عليها الحرب باسم الإسلام حتى نطهره منها ، لأنها بمثابة وصمة فى جبينه ، وبمثابة صداع لا يغادر رأسه طرفة عين .

إن هذه الطرق الصوفية البلهاء ، فتحت فى الشرق الإسلامى أسواقاً رائجة للدجل والشعوذة والتحايل ، والتغرير بأفهام الجهلة من المسلمين .

وإن شيوخ هـــذه الطرق لأشبه بسماسرة الأسواق ، بل أشبه بعصابات اللصوص المتفننة فى الإجرام على الطريقة الأمريكية — كما يقولون .

وجرائم هذه الطرق من الكثرة بحيث لا تحصى ، وكلها جرائم تسىء إلى الإسلام أكبر إساءة ، وتشوه معانيه أكبر تشويه ، وتسهم بأكبر نصيب فى انهيار المجتمع ، وفى تعطيل سنن الكون والحياة .

والطرق الصوفية فى مصر والسودان ، وفى المشرق والمغرب الإسلاميين ، قائمة على أسس من الدجل والشعوذة ، والارتزاق والاحتراف ، وفوق هذه كلها ، السيطرة التامة على عقول تابعيها من السذج والجهلة البسطاء .

وهؤلاء التابعون أشبه بقطيع الغنم يخضع لعصا راعيه ، ويستجيب لإشاراتها ، إنْ حقاً وإن باطلا ، وإن جداً وإن هزلا ، ورعاة هؤلاء التابعين هم شيوخ الطرق الصوفية ، الذين يوهمون العامة بأنهم إنما يسيرون دفة طريقتهم بإلهام من الله ، وأنهم على صلة بالرسول يتلقون منه التوجيه والإرشاد ، وعلى صلة بالأقطاب الأربعة المتصرفين في الكون ، وبصاحبة الشورى (السيدة زينب) التي يرجع إليها الأربعة المتصرفون في كل كبيرة وصغيرة ... !

إن لهذه الطرق الصوفية يداً طولى لدى الاستعمار والحكم الأقطاعي ، المسيطرين على معظم الشعوب المسلمة .

وإذا جاز السكوت على هذه الطرق في الدول الإسلامية التي ليس أمرها بيدها ، فكيف يجوز السكوت عليها في الدول الاسلامية التي أصبح أمرها بيدها ، وفي مقدمتها الباكستان وإيران ومصر .

إن الطرق الصوفية تشيع الجهل والتأخر في مصر ، وليس لها من يد على مصر ، اللهم إلا منح شيخ مشايخها «فاروقاً» ملك مصر المخلوع شرف الانتساب إلى عترة الرسول عليه السلام .

والعجيب أن وزارة الأوقاف ووزارة الشؤون الاجتماعية ، فكرتا في يوم من الأيام في إصلاح الطرق الصوفية وتنظيمها ، وعقد كثير من الاجتماعات لهذا الشأن .

وكأن هذه الطرق ذات شأن حتى تحاول الوزارتان المصريتان إصلاحها وتنظيمها ، وكان الأحرى بالمسئولين في الوزارتين أن يوقنوا بأن هذه الطرق وباء يجب القضاء عليه قضاء مبرماً ، فيقضى على الدجل والشعوذة ، والبطالة والتشرد ، والفوضى والجهل .. باسم الإسلام .

الجماعات الدينيـــة

الجماعات الدينية أصبحت فى مصر والشرق تحتل لنفسها مكانا فى المجتمع ، ولسنا بصدد تكييف هذا المكان ، لأننا نهدف إلى تكييف حال هذه الجماعات ، والرسالة التى تدعى أنها تؤديها لخير الإسلام والمسلمين .

هناك نوع يجب أن نطلق عليه كلمة « جمعيات » لا جماعات ، وليس شرطا أن نضيف إلى كلمة « جمعيات » كلمة « دينية » ، لأن هذا النوع يؤدى رسالة إنسانية محضة ، فمثلا الجمعيات التى تنشىء الكتاتيب لتحفيظ القرآن ، والمعاهد المختلفة لتثقيف الفقراء ، والملاجىء لإيواء العجزة والمشردين ، والتى تنشىء المستوصفات والمستشفيات لعلاج العاجزين عن تكاليف العلاج ، والتى تعنى بدفن الموتى من الفقراء .

هذه الجمعيات الإنسانية التى ترعى البر بجميع ألوانه خارجة عن نطاق الجماعات الدينية التى نود مناقشتها الحساب ، وحسبها من التقدير لها ، أنها تؤدى واجبا إنسانيا نحو المجتمع الذى تعيش فيه .

ويخرج عن نطاق الجماعات التى نريدها ، الجماعات الإسلامية الحية ، لأن لها منهاجا واضحا يحقق مطالب الإسلام الصحيح ... هذه الجماعات القوية الحية ، منهاج دعوتها واضح فى العمل على إعادة مكانة الإسلام ، حتى يكون كما رضيه الله للمسلمين دينا ودولة وقانونا وجهادا — لا كما يرضاه المسلمون لأنفسهم دينا تعبديا فحسب .

أما محاسبتنا لهذه الجماعات الدينية ، فلأنها تمثل فكرة معينة ، معتبرة أن فكرتها هى الإســـلام ، وتصر على هذا الاعتبار دون أن تتنازل عنه قيد شعرة واحدة .

وليس من اليسير لنا أن نحصر الجماعات الدينية التى نقصدها ؛ والتى لا زالت قائمة فى البلاد الإسلامية ، حتى نضعها فوق بساط المناقشة واحدة واحدة .

وحسبنا أن نقدم صورة عن الجماعات التى تشغل حيزا من الفراغ فى المجتمع المصرى بأسره ، ونعتقد أن الجماعات الدينية فى البلاد الإسلامية لاتختلف عن جماعاتنا المصرية كثيرا ، ولا فرق بينهما إلا فى شىء من المظهر .

ولسنا فى حاجة أيضا إلى ذكر أمثلة معينة من هذه الجماعات الدينية ، وحسبنا أن نشير إلى خصائص بعضها ، فهناك مثلا جماعة دينية تدعى استهداف إحياء السنة المحمدية ، وهذه لفظة لها بريقها ومظهرها لدى العامة ، وهى فى نفس الوقت لا تحاول تحديد السنن التى تريد إحياءها تهربا من الحساب ، ومع هذا التهرب فقد استطاعت أن تتخصص فى سنن ثلاث أو أربع ، وفى نفس الوقت من السنن التى لا ترتبط بأصول الشريعة فى شىء .

هذه الجماعة تحرص على أن يكون أتباعها من ذوى اللحية المتدلية ، والذؤابة المرخاة ، وأصبحت اللحية والذؤابة من أخص خصائصها ، وفى سبيل الحرص على هذين المظهرين ، تكلفت تكلفا معقدا فى الدعاية لهما ، والتنديد بالمتخلفين عنهما ، حتى كادت تخرجهم عن حظيرة الإسلام .

وقد دفع الغلو هذه الجماعة إلى اعتبار هذين المظهرين ، كأنها أصلان من أصول الاسلام ، وقد عزى بعض أتباعها انتصار المسلمين فى بعض الغزوات إلى إرخاء الذؤابة ، التى أوهمت المشركين بأن المقاتلين المسلمين ملائكة هبطوا من السماء .

ورغم أن الرسول لم يرخ الذؤابة إلا مرات معدودة ، إلا أن هذه الجماعة تعتبرها سنة مؤكدة لا يكمل إيمان المسلمين إلا بها ، وكأن محمدا قد انحصرت رسالته فيما كان يلبس وفيما كان يأكل ويشرب ، وكيف كان يمشي وينام ويجلس ... وكفى !

واللحية لم تكن إلا عرفا أقر الرسول العرب عليه ، كما أقر كثيرا من عاداتهم ، والتوصية بإعفائهـــا لم يكن أمراً وجوبيا بالمعنى الذى تؤكده هذه الجماعة ، واللحية مع غيرها من المظاهر ، روعى فى استحباب التمسك بهـا ، أو استحسان تركها ، مخالفة اليهود والنصارى والمجوس .

ففى الصحيحين عن ابن عمر أن النبى (ص) قال :

« خالفوا المشركين ووفروا اللحى وأحفوا الشوارب »

وفى صحيح مسلم أن النبى قال :

« قصوا الشوارب وأرخوا اللحى وخالفوا المجوس »

وفى صحيح البخارى أن النبى (ص) قال :

« إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم »

والأمر بإعفائها لم يكن إلا من قبيل الندب ، وشأنها شأن كل المظاهر الشكلية التى لا يهتم بهـا الاسلام ، ولا يفرضها على أتباعه ، بل يتركها لأذواقهم ، وما تتطلبه بيئاتهم وعصورهم .

وهذه الجماعة لا مظهر لهـا إلا اللحية والذؤابة . والمسلم الحقيق هو الذى يتمسك بهذين المظهرين ، وأفرادها لا يعترفون بإسلام المستخف بهما ولا يعاشرونه ، ولا يصلون خلفه ، بل ربما اعتبر البعض منهم أن الله لا يقبل منه فرضا ولا نفلا ، ولا جهادا ولا توبة ولا صدقة .

حتى فى أدق الظروف ، وأحرج الأوقات ، لا تفوتها الدعاية لهذين المظهرين .

فحين اضطهدت الحكومة هيئة إسلامية كبرى ، قصد وفد من هذه الجماعة المسئولين ، ليبارك هذا الإجراء ، ويتهم أفراد هـــذه الهيئة بالزندقة والمروق لأنهم يستخفُّون باللحى ، ولا يعفونها اتباعاً للسنة ، واقتداء بالنبي . ولك أن تضحك أو تبكى ، فسيان فى مصر الضحك والبكاء ...!

ولهذه الجماعة اهتمام كبير ببعض الشكليات التى تعد من السفاسف ، وهى أكثر من أن تحصر ، والمهم أنها لا تزيد الإسلام قدراً ، ولكنها فى نظرها الإسلام كله .

فى اليوم الذى تلى مصرع الشهيد « حسن البنا » كنت أصلى العصر فى دار هذه الجماعة ، ولم أسلم حتى ناقشنى جارى الحساب لأنى ... أهملت وضع إحدى يدىَّ على الأخرى تحت الصدر ..!

ونظرت نظرة استخفاف إلى هذا الأحمق .. الذى لم يشغله أفدح الأحداث الإسلامية ، ولم يشغله أدب الوقوف بين يدى الله عز وجل عن إحدى الشكليات ، التى لا تمس جوهر الصلاة ...!

هذه الجماعة تتفنن فى الدعاية لبعض المظاهر الشكلية التى أحاطت بالرسول فى كل لحظة من لحظات حياته ، وتعتبر كل حركاته وسكناته ، وكل كلامه وضحكه ومداعبته نساءه ، وكل ما كان يلبسه أو يأكله أو يشربه أو يتعاطاه ، سنة يجب التمسك بها والاعتداد بقدرها .

وليس لها حجة إلا منطق أعرج هزيل ، تلخصه دائماً فى عبارة واحدة : هى أن الرسول فعل هذا ... ،

إذا أنشأت مسجداً — وكثيراً ما تهتم بإنشاء المساجد — لم تجوف مكان القبلة ، ووضعت درجات المنبر مطابقة لما كانت عليه أيام النبى ،

ولم تقم مئذنة كما لم تقم مئذنة أيام الرسول، وحرمت فرش المسجد بالبسط لأنها لم يفرش بها مسجد أيام الرسول . . . وما إلى ذلك من الهوس الدينى الذى لايقره غير البلهاء .

إذن فلم يأكل أتباع هذه الجماعة ويشربون ويسكنون ، ويسيرون ويتعاملون ، ومظاهر حياتنا بعيدة كل البعد عن مظاهر الحياة فى أيام الرسول ..؟؟

لم يركبون طائرات وقطراً ! وترامات وسيارات ودراجات ، ولم يحملون ساعات ونظارات ..؟؟

اللهم إن دينك لأسمى من أن يكون سخرية هذه العقول المخرفة ، والأفكار الهزيلة ..!

* * *

وهذه جماعة أخرى تعتبر رسالتها الإسلام نفسه ، وأن المسلمين الذين لم يتشرفوا بالانتساب إليها ، ليسوا من الإسلام فى شىء .

أما هدفها فهو الثورة الجامحة على الأضرحة وزائريها والمتوسلين بمن فيها ، وأما أساليبهم فى ثورتهم هذه ، فهو السب واللعن ، والتكفير والطرد من رحمة الله عز وجل .

هم يعتبرون الأضرحة أصناماً تعبد من دون الله ، ويعتبرون زائريها ضمن عبدة الأوثان والأصنام ، ولم يقدر لهم إلى اليوم أن يرحموا ضريحا ولو كان صاحبه من أولياء الله المتقين ، ولا ذنب له فى جهل الجاهل ، ولا أن يرحموا زائر ضريح ، ولو كان الجهل عذره ، وهو أحوج إلى التعليم والتثقيف والإقناع بالحجة والمنطق ، من السب والطعن ، والتكفير واللعن .

إن الوثنية كانت أول جبهة اعترضت طريق الإسلام ، وإن أشياعها كانوا أول كتيبة أعلنت معاداة الإسلام ــ كما أعلنت الحرب السافرة عليه، ومع هذا فلم يلجأ الإسلام إلى أساليب الطعن واللعن والسب والشتم ، وكان أسلوب الداعية صلوات الله عليه ــ يحقق دائماً قول الحق تبارك وتعالى: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن .

هذه الجماعة لا مظهر لها إلا السب واللعن والتكفير تصبه صباً على زائرى الأضرحة ، أو على مؤيدى زيارة الأضرحة ، والتوسل وكرامات الأولياء ..!

وشأنها شأن الجماعات الهزيلة ، التى تحرص على البروز ، واحتلال مكان لها فى المجتمع بأى أسلوب كان ، أو بأى مظهر كان .

فالزنديق والملحد ، والفاجر والفاسق ، والعربيد والسكير ، هؤلاء جميعاً ، أخف جريمة من زائر الأضرحة والمتوسل بها ، والمعترف بكرامات الأولياء .

وليس أقرب إلى ألسنة أتباع هذه الجماعة من لفظة الكفر ، يرمى بها زوار الأضرحة والمتوسلون بها ، حتى ولو كانوا يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويصومون رمضان ، ويحجون البيت ، ولا يكاد يقنعهم قول الرسول عليه السلام فى الحديث الذى رواه النسائى .

« من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا فهو المسلم » .

نحن لا ننكر أن من الواجب أن يهذب زائرو الأضرحة ، وأن يفهم الجهال ، أن التوجه يجب أن يكون إلى الله وحده : لأنه يملك الضر والنفع ، ولكن الذى ننكره أن تنحصر مهمة هذه الجماعة فى الثورة على

زوار الأضرحة والمتوسلين بها ، والذى ننكره ونشدد فى النكران ، أن تُسَخِّر هذه الجماعة ومن على شاكلتها — باسم الإسلام — بوقا لدولة من الدول ، أيا كانت هذه الدولة ، لاسيما إذا كانت هذه الدولة تسيطر عليها حكوماتها التى تتمثل فى البيت المالك ، ولا ترعى لله ولا للشعب حقاً ، ويعيش أمراؤها عيشة الترف والبذخ ، ويبعثرون نصف ميزانية الدولة على الراقصات هنا وهناك ، ويصرف نصف الميزانية الآخر فى تهيئة حياة منعمة لهم ... فى الدولة التى كتب عليها وعلى شعبها الشقاء إلى الأبد ...!

* * *

وهناك جماعات أخرى تشغل خيراً من الفراغ ، منها ما يصل إلى درجة الارستقراطية ، وليست موئلا ومنتدى إلا لذوى المناصب الملحوظة ، ولا مهمة لهم إلا حضور الحفلات التى تقام من وقت لآخر ، للبرزين من ضيوف العالم الإسلامى ، وإلا صياغة الاحتجاجات والاستنكارات ، كلما طابت لسطوة الاستعمار أن تمتد إلى شعب مسلم مستعبد .

ومنها ما يصل إلى درجة الهبل المصطنع ، للدجل والشعوذة من وراء هذا الهبل المصطنع ، باسم الفقر والفقراء ، والمسكنة والذلة والخشوع ، وعقولنا أقل من أن تكيف مذهب هذه الجماعة : ومنها ما يصل إلى درجة الهوس الذى لا تطيقه إلا عقول المعتوهين ، ولا زال فى القاهرة جماعة تطلق على نفسها : « حتى شكة الشوكة » وتقيم هذه الجماعة دعوتها على أساس ، أن كل مصيبة بذنب ، حتى شكة الشوكة بذنب ، ورئيسها منذ عشرات السنين يكافح من أجل نشر فكرته ، ولم تتخط بعد جدران الزاوية التى اتخذها مركزاً عاماً لدعوته .

ولك أن تبكى معنا على الإسلام المهمل فى هذه الجماعات ، ولك أن

أن تضحك أيضاً ، إذا كنت تؤمن بالحكمة التى تقول :

« شر البلاء مايضحك » .

* * *

إن جريمة هذه الجماعات لا تنحصر فحسب — فى أنها تشغل حيزاً من الفراغ فى المجتمع الإسلامى ، وليست أهلا له ، وتسيطر على جزء من الرأى العام الإسلامى ، وتجعله فى معزل عن الإسلام الصحيح .

ولكن لها جريمة أشد ، وهى أنها تعمل على تمزيق وحدة المسلمين ، حين تجرهم إلى الجدل الممل والنقاش المتعب ، وعلى تشويه سمعة الإسلام حين تثرثر فى القشور والشكليات ، متجاهلة لبابه وحقائقه ومعانيه السامية .

ويظهر أنها أصبحت حرفة لا غنى لأتباعها عنها ، ومرضاً لا تهدأ أعصابهم بدونه .

أوهام..!

أوهـام ...!

إن المسلمين يعيشون على أوهام لا تمت إلى الواقع الصحيح بصلة ، وخطر هذه الأوهام من الفداحة بحيث لا يحسن السكوت عليه .

إذا خطبت فى المسلمين حاثاً إياهم على الجهاد والكفاح والعمل المتواصل ، من أجل الإسلام والمسلمين وأوطان المسلمين ، فلن يصل حديثك إلى قلوبهم ، ولن يستقر فى أذهانهم ، لأن بجانبك جهلة متدينين ، ودجاجلة صوفيين ، صبوا فى أسماعهم أن شفاعة محمد سوف لا تدع النار تمس جسد مسلم ..!

والكثرة الساحقة من المسلمين ، يؤمنون بأن عيسى سوف ينزل فى آخر الزمان ليكسر الصليب ، ويذبح الخنزير ، وينشر شريعة محمد ، وأن المسيح الدجال ، سوف يظهر ليضلل عقائد الناس ، ويحولهم عن سبيل الخير إلى طريق الشر ، ويعيث فى الأرض فساداً ، وأن المهدى المنتظر ، سوف يظهر هو الآخر مؤيداً بالخوارق كالمسيح الدجال ، ولكنه سوف يملأ الأرض بعده عدلا ، بعد أن ملئت جوراً ، وصلاحاً بعد أن عمها الفساد ، وخيراً بعد أن فاضت شراً .

وحسب المسلمين خطراً من هذه الأوهام ، انشغال أذهانهم بها ، وصرفهم عن العمل ، وتعلقهم بخيالات مبتكرة ، وضلالات مصنوعة .

* * *

الشفاعة :

من الأوهام التى يعلق عليها البسطاء أكبر الآمال الشفاعة يوم القيامة ،

أى شفاعة الرسول (ص) فى المذنبين جميعهم ، حتى ينجوا جميعاً من العقاب .

والذى صنع هذا الوهم هوس المتهوسين ، أولئك الذين لا يرضون بمحمد رسولا بشراً ككل الرسل البشر ؛ وإنما يحرصون على أن يكون له امتيازات مشرّفة لم تكن لغيره من إخوانه عليهم السلام ، وهؤلاء المتهوسون يتقنون حفظ الأحاديث الموضوعة ، التى تعاون الزنادقة مع الشيعة فى صياغتها ، أما الزنادقة فمهمتهم هدم الإسلام ، وأما الشيعة فهدفهم انتزاع عواطف المسلمين عن طريق هذا الهوس .

ولا يحاول هؤلاء المتهوسون أن يقنعوا بأن محمداً عليه الصلاة والسلام كان رسولا ككل الرسل ؛ وحتى لو نطق القرآن الكريم بالأدلة القاطعة :

« وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » ١٤٤ — آل عمران .

« قل ما كنت بدعاً من الرسل ، وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم »
٩ — الأحقاف

ولا يحاول هؤلاء المتهوسون أن يتنازلوا عن تميز محمد على سائر الأنبياء ، حتى ولو كان محمد (ص) نفسه أبى أن يخيّر على إخوانه :

عن أبى سعيد الخدرى قال : بينما رسول الله (ص) جالس ، جاء يهودى ، فقال : يا أبا القاسم ! ضرب وجهى رجل من أصحابك ، فقال من ؟ قال : رجل من الأنصار . قال : دعوه ، فقال : أضربته ؟ قال : سمعته بالسوق يحلف . والذى اصطفى موسى على البشر ! قلت : أى خبيث ! على محمد (ص) ؟ فأخذتنى غضبة ضربت وجهه . فقال النبى (ص) « لا تخيروا بين الأنبياء . فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول

من تنشق عنه الأرض ، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدرى أكان فيمن صعق أم حوسب بصعقته الأولى » البخارى .

وعن أبى هريرة عن النبى (ص) قال : « لاينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى » البخارى .

إن محمداً — صلوات الله وسلامه عليه ، لم يرض لنفسه الغلو الذى صاغته عقول المتهوسين ، الذين يصرون على أن محمداً خلق وآدم بين الروح والجسد ، وأن السموات والأرض والإنس والجن والملائكة والطير والوحوش ، والجبال والبحار ، والشمس وسائر الكواكب ، خلقت من نوره ، ولولاه ماخلق الله شيئاً ... وما إلى ذلك من التخريف الذى لا تستسيغه إلا عقول البلهاء .

أما شفاعته يوم القيامة ، فقد تعدت ما لايقبله عقل ، ولا يقره منطق ، إن المتهوسين يوهمون أنفسهم والسذج معهم أن شفاعة محمد صلوات الله وسلامه عليه ، سوف تنال العصاة والمجرمين ، وأن من صلى عليه ولو مرة واحدة ، حرم الله جسده على النار ..!

على ضوء هذا الوهم ، يسرق السارق ويزنى الزانى ، ويفجر الفاجر ، ويستبد الظالم ، لأن أملهم كبير فى شفاعة النبى ..!

وما دام الأمر كذلك ، فليس هناك داع إلى كتاب الله ، ولا سنة نبيه ، ولا إلى هذا التشريع الإسلامى ، وليس هناك داع إلى قسم الوعظ والإرشاد بالأزهر فى مصر وفى غير مصر ، وليس هناك داع إلى الصلاة ولا الصيام ولا الزكاة ولا الحج ، ولا إلى المثل العليا ، والأخلاق السامية .

إن فى القرآن الكريم من الأدلة ما لا يحتاج إلى جدل ، مما يقضى

على هذا الوهم الأخرق ، ويدحض تخريف الذين يحرضون على الفسق والعصيان والفجور ، موهمين السذج بأن شفاعة محمد سوف تنالهم يوم القيامة .

« يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم ، من قبل أن يأتى يوم لا بيعٌ فيه ولا خلة ولا شفاعة ، والكافرون هم الظالمون » ٢٥٤ — البقرة

وقد يثور علينا هؤلاء الحمق ويقولون : كيف تنكر الشفاعة ، وهى ثابتة فى عدة أحاديث صحيحة اتفق على كثير منها البخارى ومسلم .

ونحن نقرهم على الشفاعة التى أوردها البخارى ومسلم متفقين عليها ، وهما لم يوردا عبارة واحدة ، يفهم منها أن الشفاعة ستخلص العصاة والمذنبين من حساب الله وعقابه .

والشفاعة التى اتفق على أحاديثها البخارى ومسلم ، خاصة بناحية واحدة ، وهى توسله إلى الله أن يخلص الناس من هول الموقف الذى يذهل المرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى .

ففى حديث أنس بن مالك : يجمع الله الناس يوم القيامة ، فيقولون : لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا .... »

وفى حديث أبى هريرة : يجمع الناس الأولين والآخرين فى صعيد واحد ، يسمعهم الداعى ، وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ، ولا يحتملون ، فيقول الناس : ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ... »

وفى هذين الحديثين ، أن الناس قصدوا الأنبياء ، ولم يستجب لهم إلا محمد (ص) ، وفى الحديث الثانى منهما ، أن الله قال للنبى : أدخل من

أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من الجنة ، ويجب أن ندقق النظر فى هذه العبارة ، حتى يتأكد لدى هؤلاء الواهمين ، أن العصاة الذين ماتوا مصرين على عصيانهم لن تنالهم شفاعة ولا غيرها .

وليدققوا النظر معنا فى هذا الحديث ، ليزدادوا إيماناً ببطلان وهمهم ... والحديث رواه الشيخان أيضاً .

عن أبى هريرة قال : قام رسوله الله (ص) حين أنزل الله عز وجل — وأنذر عشيرتك الأقربين — قال : « يامعشر قريش : — أو كلمة نحوها — اشتروا أنفسكم ، لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، يابنى عبدمناف : لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، ياعباس بن عبد المطلب : لا أغنى عنك من الله شيئاً ، وياصفية عمة رسول الله : لا أغنى عنك من الله شيئاً ، ويافاطمة بنت محمد ! سلينى ماشئت من مالى ، لا أغنى عنك من الله شيئاً » .

* * *

المسيحاد :

وهذا وهم آخر ، فالمسلمون — إلا أقلهم — يعتبرون نزول عيسى آخر الزمان جزءاً من عقيدتهم ، يجب التصديق به ، تصديقاً لا يقل عن تصديقهم برسالة محمد — صلوات الله وسلامه عليه .

وحجة القائلين بهذا الرأى قوله تعالى فى سورة آل عمران :

« إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ ومطهرك من الذين كفروا ... » ٥٥

وليس فى الآية دليل على نزول عيسى آخر الزمان بشريعة محمد صلوات الله عليه ، بل وليس فيها دليل قطعى على أن عيسى لم يزل حياً

فى السماء كما يدّعون . وحجتهم كثير من الأحاديث التى روى البخارى ومسلم بعضها ، ولكن هذه الأحاديث لم تزد على كونها آحاداً ، وهذا أمر غيبى يحتاج إلى الخبر اليقين ، وليس فى الموضوع حديث متواتر واحد ...

ولو سلمنا جدلا بهذه الأحاديث ، لحق لنا أن نفسر نزول عيسى آخر الزمان بنشر شريعة التسامح والعزوف عن الدنيا . والروحانية الصافية ، التى كانت تسود شريعته ، وذلك بعد أن تكون الأرض قد أخذت زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها ، وبعد أن تكون الماديات قد طغت طغياناً لايدع مجالا للروحية الصافية .

والمنطق لايقر عيسى آخر الزمان بشريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه ، لأنه إما أن ينزل رسولا ، وهذا محال لأن محمداً خاتم النبيين بنص القرآن ، وإما أن ينزل إنساناً عادياً ، وهذا يحتم سلبه صفة النبوة والرسالة ، وليس بمعقول أن ينزل الله من قدره وقد رفع مكانته .

أما المسيح الدجال ، فأمره عجب ، هذا الذى قيل عنه : إنه ينزل ليفسد فى الأرض ، ويصب الزيغ فى العقول حتى تضل ، والله عز وجل يمنحه القدرة على إحداث الخوارق ، ليكون أقدر على إضلال الناس ، وصدهم عن سبيل الهداية والرشاد .

وليس فى القرآن الكريم آية واحدة تشير من قريب أو بعيد إلى وجود الدجال فى آخر الزمان ، وهناك أحاديث رواها البخارى ومسلم وغيرهما ، وحكمها هو نفس حكم أحاديث نزول عيسى المسيح عليه السلام ، فكلها آحاد تتعلق بأمر غيبى يحتاج إلى خبر يقين متواتر .

والمنطق لايقر أن الله فى حاجة إلى الاستعانة بدجال ، يؤيده بالخوارق

ليضل عباده ، ويسلك بهم سبيل الغواية والزيغ والمروق .

ولو اعتبرنا صحة هـذه الأحاديث الواردة فى الدجال ، لحق لنـا أن نفسر الدجال بالخرافات والأباطيل التى تملأ الدنيا فى نهايتها ، بعد أن ينصرف الناس عن الشرائع ، ويتلاشى اهتمامهم بها .

وعلى كل فالواجب علينا أن ندقق النظر فى الأحاديث النبوية التى تحدثت عن فتن آخر الزمان ، فإن معظمها من وضع الزنادقة الذين هدفوا إلى تثبيط همم المسلمين ، وبث اليأس فى نفوسهم ، وإضعاف الأمل فى العمل على تماسك دولتهم ، وبلوغها العزة التى أرادها الله لها .

* * *

المهدى المنتظر :

وهذا وهم ثالث يعتبر من نسج الخيال ، فقصة المهدى المنتظر قبل كل شىء ... لم تشر إليها كلمة من آية واحدة من كتاب الله ، ولم يعتد البخارى ومسلم أصح كتب الحديث بحديث واحد منها ، وقد بلغت فى غيرهما زهاء خمسين حديثاً . قال ابن حجر إنه لم يثبت لديه واحد منها . وأعتقد أن الخيال السياسى هو الذى أشاع فكرة المهدى المنتظر ، الإمام المعصوم الذى سيكون فى آخر الزمان يملأ الأرض عدلا ونوراً .

والدول التى حكمت أمة المسلمين ، لم تكد تخلو منها دولة واحدة من اعتناق فكرة المهدى ، لاسيما الدولة الفاطمية والعباسية ، والشيعة الذين حصروها فى البيت العلوى ، حتى الدولة الأموية لم تتنازل عن فكرة المهدى ... وزعم بعض هذه الدول أن مهديها المنتظر لم يمت ، وأنه سيظل حياً إلى أن يعود فى آخر الزمان ، لاسيما الكيسانية التى زعمت

أن مهديها : محمد بن الحنفية لم يمت ، وإنما هو بجبل رضوى بالحجاز على سبع مراحل من المدينة .

وكان من الضرورى أن يزكى فكرة المهدى الفرس .... الذين كان كل همهم أن يصبغوا الإسلام بصبغة الخرافات والأباطيل ، وكذلك الباطنية الذين كان كل همهم هدم الإسلام من أساسه .

وكان من الضرورى أن يقوم كثير من المذاهب الإلحادية الهدامة على نظرية المهدية الخيالية ، وفى مقدمتها القادنية ، والبهائية ، كما دفعت نظرية المهدى بعض المتهوسين من مدعى الولاية إلى إثارة الفتن التى لم يزل أثرها باقياً إلى اليوم .

وأكبر دليل على كذب هذه النظرية وابتداعها من نسج الخيال ، أنه ظهر إلى اليوم عشرات ، كل منهم ادعى المهدية ، والأحاديث التى وردت نصت على أنه سيظهر مهدى واحد يؤيده الله بالخوارق .

* * *

ظهرت فكرة المهدى بالسودان أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، ولم تتلاش إلا بعد أن سفكت دماء ودماء ، وشاعت قبلها فى أواسط القرن الثالث عشر الهجرى فى المغرب ، وادعاها السيد محمد المهدى السنوسى ، وعلى ضوء هذه النظرية ، ظهر (الباب) فى إيران ، وبعده ميرزا حسين الملقب ببهاء الله ، الذى ادعى الألوهية ، وظهر أحمد القاديانى بالهند ، واستغل الجميع سذاجة الناس ، فأولوا القرآن وأخرجوه عن معانيه الحقيقية ، واستعانوا بأفكار الزنادقة من المجوس وغيرهم .

ولقد تأثر الصوفية بهذه النظرية ، فراحوا ينشرون فكرة القطب ، والأبدال والأوتاد ، ومن إليهم ، ممن لهم القدرة على التنقل وعلى إحداث الخوارق ، والكشف عن المغيبات ، وجعلوا منهم دولة تتحكم فى

مصائر المسلمين وأحوالهم ، حتى بلغ السفه بهم إلى أن الأقطاب هم الذين ينصّبون الحاكم ويختارونه قبل أن ينتخبه الشعب .

* * *

إن خطر هذه الأوهام من الفداحة بمكان ، فالشفاعة توهم السذاج أن العمل من أجل الإسلام ، والاستقامة فى الحياة ، والجهاد من أجل الوطن الإسلامى ، ليس ضرورياً بالنسبة لهم ، مادامت الدنيا فانية ، وشفاعة محمد سوف تنقذهم من الحساب والعقاب فى الآخرة ، وتستقر بهم فى جنة عرضها السموات والأرض .

ونزول عيسى ، وظهور المسيح الدجال ، والمهدى المنتظر ، كل هذه الأوهام تبعث المسلمين على اليأس ، وعقد الأمل فى نزول المسيح والمهدى المنتظر ..!

ما أجدر بعقلاء المسلمين لو أنهم حاربوا هذه الأوهام ، واقتلعوا جذورها من أفكار العامة ، حتى يدركوا أنهم مسئولون عن الإسلام ديناً ودولة ومصحفاً وسيفاً ، ومسئولون عن المسلمين وأوطان المسلمين واقتصاديات المسلمين ، وحتى يعيشوا فى الواقع لا فى الخيال والأوهام.

فی میدان الاصلاح

الإصلاح الذى ننشده

تستهوى كلمة الإصلاح هذه كثيراً من ذوى الأهواء ، ولذلك يزجون بها فى كل ما هب ودب دون وعى أو إدراك .

حتى هؤلاء الذين تجردوا من الأخلاق ، فأخذوا يروجون للاختلاط والسفور ، وإذكاء عواطف الحب بين الشابات والشباب ، وتعويد الفتيات الرقص فى المراحل التعليمية ، وتيسير المجال لكل ألوان اللهو والترف ، هؤلاء ينادون بهذه المهازل بحجة الإصلاح ، ضاربين صفحاً عن الأخلاق ، لأنها فى نظرهم من مخلفات القرون المظلمة .

كأن الإصلاح فى نظرهم ليس إلا الإباحية المطلقة ، والاختلاط المزرى ، والسفور البذىء ، على حساب الأخلاق والأعراض والشرف والفضيلة ...

كتب أحد الكتاب المنحلين فى إحدى الصحف ، منددا بمسلك بوليس الآداب بالقاهرة يقول :

« إنه لن يطمئن على أخلاق هذا البلد ، إلا إذا استطاع الشاب أن يقبل حبيبته فى عرض الشارع ، دون أن يخشى أعين بوليس الآداب » .

وعلى هذه الحماقة والسفاهة يقيم أولئك الناس أسس الإصلاح الذى ينشدونه ، وكأن الإصلاح لن يكون إصلاحاً إلا إذا حرضنا الفتيات على السفور والفتيان على المجون ، وكليهما على الاختلاط وأكثر من الاختلاط .

نحن لانطالب المرأة بأن تختفى فى عقر بيتها حتى لا ترى الدنيا ولا الدنيا تراها ، ولا نطالبها بأن تظل عالة على من يتنكرون لها من ذوى قرباها ، لأن الإسلام يعدها مخلوقاً له كيانه ، تباشر حياتها بالحالة التى ترضاها وتطمئن إليها ، مادام شرفها مصوناً وكرامتها موفورة .

لن نرضى الإصلاح الذى يقوم على أساس من المجون الفاسد والانحلال الخلقى ، والإباحية الرخيصة ، لن نرضى هذا الإصلاح الذى يحقق الأهواء العمياء ، والشهوات البذيئة ، ولكننا نرضى الإصلاح الذى ينهض بالمجتمع ، ويسمو بالأفكار ، ويرقى بالشعب إلى أبلغ درجات الرقى والعظمة .

إن الاصلاح الذى نريده ، يجب أن يقوم على أساسين : الأساس الأول الدين ، والآخر المجتمع .

والإصلاحان الدينى والاجتماعى مرتبطان ارتباطا وثيقا ، ويجب أن يظلا مرتبطين هـــذا الارتباط الوثيق . فمن لايصلح دينه لايصلح مجتمعه ، ومن فسد مجتمعه فلا قيمة لإصلاح دينه .

الإصلاح الدينى يمهد السبيل إلى الإصلاح الاجتماعى ، والإصلاح الاجتماعى ، يهيء الحياة الصحيحة لمجتمع ناهض سليم .

الاصلاح الدينى

الاصلاح الدينى لا يقصد به العبث بمقدسات التشريع الاسلامى ، كما يتطرق إلى أذهان كثير من جهات التزمت والجمود ، ولكن يقصد به إصلاح العقول حتى تفقه دين الله عز وجل .

فالاسلام كما قلنا جاء صافيا مرنا ، يحقق سعادة الانسانية وخير البشرية ، ولم يبلغ المسلمون الأولون أعلى درجات العزة والرفعة ، إلا لأنهم كانوا يفهمون الاسلام الخالص المصفى ، ولم ينحط المسلمون فى القرون الأخيرة إلى أسفل درجات الضعف والذلة ، إلا لأنهم لم يحاولوا أن يفهموا دينهم كما ينبغى أن يفهم .

ومصادر الإسلام ، هى القرآن الكريم ، والحديث النبوى ، والفقه الإسلامى ، ومحاولات الاصلاح ، هى أن يفسر القرآن تفسيراً صالحاً يليق بكتاب الله عز وجل ، وأن تخلص الأحاديث النبوية مما خالطها من الموضوعات التى لا حصر لها ، وأن ينظم الفقه الاسلامى تنظيما يساير تطور الحياة .

وهناك جانبان آخران مهمان ، أولهما ، المعانى الاسلامية المشوهة ، فيجب تصفيتها ، والمسجد الذى يعتبر برلمان المسلمين ، فيجب أن يهيء حتى يليق بما هو أهل له ، وينظم حتى يعد للحياة جيلا مسلما يحقق لدينه ولنفسه ولوطنه ولأمته الخير .

هذا اتجاه لا ينكره إلا جهات التزمت التى تسىء بتزمتها إلى الاسلام ، وهى تحسب أنها تحسن صنعاً .

أمام المساجد الكبرى يتكدس حفظة القرآن على الأبواب، عارضين على زوار الأضرحة، بعض سور القرآن بأبخس الأثمان، وأيام الجمع والمواسم، تزدحم المقابر بهؤلاء القراء، ليستجيبوا - فى نظير قروش - لرغبات المترحمين على موتاهم بتلاوة بعض السور، وفى الريف يستغل القرآن أسوأ استغلال فى كتابة التعاويذ والأحجبة، كما يعلق على الصدور قصد البركة، ولكتاب الأحجبة فلسفة فى تسخير القرآن يعجز عن إدراكها فلاسفة اليونان الأقدمون ...

إن الدجالين المشعوذين فى الريف، لا زالوا يعالجون بالقرآن شتى الأمراض، والجهلة من المسلمين مضطرون إلى الانسياق وراء عاطفتهم، تاركين سنة الله فى الطب، ولو حاولت مناقشة هؤلاء المعوقين لسنة الله، والواضعين كتاب الله موضع الحرج. أجابوك بقوله تعالى :

« وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » ٨٢ - الاسراء

ولهم عذرهم، فإن غباوتهم قد حالت بينهم وبين أن يفقهوا أن الشفاء المشار إليه، هو الشفاء من الجهل والمروق والعناد، وغيرها من الأمراض المتركزة فى الصدور، كما وضحته الآية الأخرى :

« يا أيها الناسُ قد جاءتكم موعظةٌ من ربكم، وشفاءٌ لما فى الصدور وهدى ورحمةٌ للمؤمنين » ٥٧ - يونس

إن العشاق والواهين فى الحب، والراغبين فى التفرقة، والساعين فى الشر ... ليجدون عند كتاب الاحجبة ما يحقق رغباتهم، بل إن طلاب

الشفاء من الأمراض المستعصية ، وهم فى الغالب من السـذج الجهلة ، ليس لهم ملجأ فى الريف الا كتاب الأحجبة ، الذين يأخذون من القرآن ما شاءوا لمن شاءوا . . !

بل إن من المثقفين من يواظب على قراءة سورة الواقعة فى كل صباح لتجلب له الرزق ، وعلى سورة الملك لتدفع عنه عذاب القبر ، وعلى سورة يس ، ليرحم الله بها موتاه ، وعلى سورة الضحى ليجمع الله بينه وبين شمل الغائب عنه ...

وكثيراً ما قرأت فى كتب المخرفين ، أن على من يرغب فى شراء البطيخ أن يتلو قوله تعالى :

« إن البقر تشابه علينا ، وإنا إن شاء الله لمهتدون »

وإذا أراد قطعها تلا قوله تعالى : «

« فذبحوها وما كادوا يفعلون »

وقرأت أيضاً فى كتب هؤلاء المخرفين ، أن الانسان إذا ألمَّ به ألم فعليه أن يتلو قوله تعالى : « وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم » ليزول ألمه ، وأن من أراد أن يبعد ثقيلا عن مجلسه فعليه بتلاوة قوله تعالى :

« إذا زلزلت الأرض زلزالها مع تكرار كلمة « أشتاتاً » ، وأن من أراد أن يختفى عن عين أحد من الناس لا يرغب فى لقائه ، فعليه بتلاوة قوله تعالى :

« وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً ، فأغشيناهم فهم لا يبصرون . »

وقد شكوت لأحد الأصدقاء أرقا يلازمنى ساعات من الليل ، فأوصانى بتلاوة قوله تعالى : وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود .. » !!

أرأيت معى كيف يوضع كتاب الله هذا الموضع غير الكريم ، كأنه لم ينزل إلا للتبرك به ، وليكتب أحجبة وتعاويذ — وليكون مادة سهلة للدجل والشعوذة ؟

* * *

إن أهداف كتاب الله عز وجل ، تكاد تلتقى عند هدف واحد ، هو هداية الناس ، وإخراجهم من ظلمات الجهالة ، إلى نور المعرفة ، ومن الحياة التعسة إلى الحياة الطيبة المستقرة :

« ... كتاب أنزلناه اليك لتخرجَ الناسَ من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراطِ العزيزِ الحميد » ١ - ابراهيم

« هـذا بصائرُ للناسِ وهدى ورحمةٌ لقوم يوقنون » ٢٠ - الجاثية

« إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم . . » ٩ - الاسراء

إذن فلم ينزل القرآن لنجعله أحجبة وتعاويذ من الحسد ، ولم ينزل لنتبرك بآياته ، ونتخذ من سوره وسيلة لجلب الرزق ، ودفع الشر ، وتحقيق رغبات العاشقين والوالهين فى الحب ...

ولم ينزل القرآن ليتغنى به القراء فى الجموع الحاشدة ، حتى يجتذبوا الصيحات والآهات من حناجر الجهلة المستمعين ، ويتلاشى فى صخبهم الفقه والتدبر المطلوبان من القارىء والمستمع على السواء .

إن كتاب الله صريح فى وجوب الاستماع بالأُذن ، والإنصات بالقلب حين يتلى كتاب الله ، « وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم

ترحمون ، ومع هـذا فلم يزل مجلس القرآن مجالا للصخب والتهريج فى الريف والحضر ، حتى فى اكبر مساجد العواصم الاسلامية لم يتمكن المسئولون إلى اليوم ، من أن يضعوا حدا لعبث القارئين والمستمعين معا..

ويعلم الله أن بعض حفلات الغناء كثيراً ما تكون أكثر وقارا ، من بعض مجالس القرآن ، فى مساجد الامام الحسين ، والامام الشافعى ، والازهر والسيدة زينب بالقاهرة . . !

إن هذا العبث يمد القارىء بقسط وافر من الغرور والتنطع ، فتراه وقد استهواه تهريج المستمعين ، يعمد إلى الإطالة ساعة وساعتين ، حتى ينفر المسلمين من كتاب الله عز وجل ..!

مع تفاسير القرآن :

إن هناك مئات التفاسير للقرآن ، منها ما هو موجز إيجازاً لايفيد القارىء منه شيئاً له أهميته ، ومنها ما هو مسهب إسهاباً يزيد القارىء اضطراباً فى أفكاره ومعلوماته .

ولم يكد يوجد إلى اليوم التفسير اللائق بكتاب الله عز وجل ، إذا استثنينا تفسير جزء عم ، للإمام الشيخ محمد عبده ، وتفسير المنار للسيد رشيد رضا ، وتفسير ابن كثير .

وليس معنى هـذا أننا نحط من قدر كل ما بين أيدينا من تفاسير موجزة أو مسهبة ، لأن لبعضها أقدارها التى لانستطيع إنكارها ، ولا نقوى على جحودها .

فالذين أوجزوا فى هـذا البعض ، إنما اعتبروا تفسيرهم توضيحاً لما أُبْهِمَ من ألفاظ القرآن وعباراته ، ولهذه الناحية قدرها . والذين أسهبوا ، إنما أرادوا أن يوسعوا مدارك المسلمين بشتى العلوم التى زحموا بها تفسيرهم ، ولهذه الناحية قدرها أيضاً .

وبذلك أصبح النوع الأول أشبه بقاموس للغة ، كما أصبح النوع الآخر مرجعاً للباحثين والمطلعين ، وإذا كنا فى حاجة إلى مثل هذين النوعين ، فإن حاجتنا أكبر إلى التفسير الذى تسهل تلاوته على الإنسان، كما تسهل عليه تلاوة القرآن تماماً ، ويستطيع إذا ما قرأ هذا التفسير ، أن يلم بمعانيه الحية ، وتوجيهاته الدقيقة ، وعظاته البالغة ، وأسرار إعجازه وبلاغته .

ولن يتوفر هذا التفسير فى التفاسير المقتضبة ، لأنها أضيق من أن تستوعب معانى القرآن ، وتوجيهاته وعظاته وأسرار بلاغته .

ولن يتوفر هذا فى التفاسير المسهبة ، لأنها فى أغلب الأحيان تضطر إلى الحشو الممل ، والجدل المتعب ، والتكرار المشوّه ، وكثيراً ماتتصيد الاسرائيليات لتشوق بها القارىء وتجتذبه إليها .

ولا ريب فى أن هذه كلها كفيلة بأن تصعق معانى القرآن العظيمة ، لتتلاشى مع دخان ضوضائها ، وبأن ترهق القارىء حتى يضطر إلى الزهد فى هذا اللون من التفسير .

والحشو فى التفاسير المسهبة هو علة العلل ، وأكثر ما يكون هذا الحشو فى المغيبات التى استأثر بها علم الله تعالى وحده ، وفى القصص الذى لم يهدف إلا إلى العبرة والعظة فحسب .

وبينما نرى القرآن يحمل هادفاً إلى الإيجاز ، ومحاولا أن يرتقى بالعقول عن الحشو والإسفاف، نرى المفسرين يحشرون أنفوهم تنطعاً ، متصنعين الخبرة الواسعة والعلم الغزير .

فمثلا يقول الله تعالى فى سورة البقرة ، « ألم تر إلى الذين خرجوا من

ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، فقال لهم الله موتوا ثم احياهم . . . »

وقصد من كلمة « ألوف » الكثرة ، دون أن يحدد العدد ، حيث لا داعى لهذا التحديد ، إذ العبرة من القصة تأديب الله لهم ، ولكن المفسرين لم يشاءوا أن يقفوا عند هذه البلاغة ، فراحوا يدَّعون أن عددهم كان خمسين ألفاً ، وستين ألفاً ... حتى يشغلوا القارىء بهذا العدد عن موضع العبرة من القصة .

وفى سورة يوسف : « وشروه بثمن بخس دراهم معدودة ، وكانوا فيه من الزاهدين » قصد القرآن من « دراهم معدودة » القلة ، دون أن يحدد العدد ، حيث لا داعى لهذا التحديد ، إذ العبرة من الآية ضآلة الثمن وزهد البائعين فى سيدنا يوسف ، ولكن المفسرين راحوا يتحدثون عن الثمن الذى بيع به يوسف ، فمن قائل سبعة دراهم ، ومن قائل تسعة دارهم .. الخ ، ليحيدوا بالقارىء عن موضع العبرة فى الآية الكريمة .

وفى سورة الكهف : « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ، قل ربى أعلم بعدتهم مايعلمهم إلا قليل » تحدث المفسرون أيضاً محاولين تحديد عدد أهل الكهف ، رغم قوله تعالى « قل ربى أعلم بعدتهم » .

وفى سورة النمل : « ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قِبل لهم بها » . قصدت الآية من « بجنود لا قبل لهم بها » الكثرة المطلقة التى لا تحصى ولا تعد ، ومع هذا فلم يستطع المفسرون الصبر عن محاولة تحديد عدد الجنود ، وحصرها فى الألوف والمئات .

وفى سورة القصص : « وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء

بالعصبة أولى القوة ، قصدت الآية الكريمة ، الكثرة المطلقة أيضاً لكنوز قارون بدرجة أن مفاتح الخزائن يعجز عن حملها الجماعة الأقوياء ، أما المفسرون فقد أخذوا يعدون هذه الكنوز ، ويذكرون أن مفاتحها كانت تحملها عشرات الجمال ، غير عابئين ببلاغة القرآن فى الإجمال والإيجاز ، وصرف الأذهان إلى موضع العظة من القصة .

* * *

أما الحشو الممل فى القصص ، فهو مما لاطاقة للعقول والأذهان به ، فإن هدف القصة لايتعدى العبرة والعظة ، وما كرر بعض القصص فى القرآن إلا لتستقر العظة والعبرة فى الأذهان .

ولكن المفسرين أبوا إلا أن يحشوا هذه القصص ، وأسرفوا فى حشوها وجعلوا منها مجرد قصص للتسلية وقتل الوقت ، فأخرجوها عن نطاق العظة والعبرة ، وهذه المعلومات التى حشوا بها القصص القرآنى ، لم يستمدوها إلا من الكتب الإسرائيلية ، بل ومن روايات اليهود الذين أسلموا ليكيدوا للإسلام بدس المعلومات المختلفة .

والكتب الإسرائيلية لا يمكن الاطمئنان إليها ، ولا يمكن الاستعانة بها فى تفسير القصص القرآنى ، الذى جاء موجزاً ليكون أبلغ فى توجيه الأذهان إلى العظة والعبرة وحدهما .

كما لا يمكن بحال من الأحوال الاطمئنان إلى اليهود الذين دخلوا الإسلام ليتقنوا التآمر عليه ، من أمثال وهب بن منبه ، وكعب الأحبار وعبد الله بن سلام ، والتاريخ الصحيح لايجهل يد « كعب الأحبار » فى اغتيال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ولا استعمال دهائه فى الكيد للاسلام فى عصر عثمان .

ولسنا فى مجال سرد هذا الحشو الممل الذى استوعبه المفسرون ، حين

تعرضوا لتفسير القصص القرآنى ، لأنه أضخم من أن نسرده هنا ، لأنهم لم يرحموا قصة واحدة من حشوهم إياها بالإسرائيليات وغيرها، ولم يدعوها حتى شوهوا جمالها وطمسوا بلاغتها .

فى قصة نوح ، أوجز القرآن فقال : « قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك » ولكن المفسرين لم يقنعوا بهذا الإيجاز البلاغى ، فراحوا يعدون الأصناف التى حملتها السفينة من شتى الحيوانات والطيور .

والقرآن لم يشر إلى الوقت الذى قضته السفينة فوق سطح الماء ، لأن الحاجة لاتدعو إليه ، ولكن المفسرين أسهبوا فى الأقوال المتضاربة من قبيل الحشو ليس إلا .

وفى قصة إبراهيم أوجز القرآن، وفى الجزء الخاص بنجاته من النار . « قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين . قلنا يانار كونى برداً وسلاماً على إبرهيم » إنه إيجاز فى غاية البلاغة ليقرب العبرة إلى الأذهان فى الآية التالية : « وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين » ولكن المفسرين أخمدوا العبرة بكثرة حديثهم فى وصف النار ، وكيف أن عبدة الأوثان استمروا يجمعون الحطب أياماً وشهوراً ، وكيف أن لهيب النار أضاء فارس والروم ، وأن دخانها سد مابين الخافقين ، وأزهق أرواح الطيور فى أكنانها والأُسود فى عرائنها .

وفى قصة موسى رتب القرآن حوادثها ترتيباً روعى فيه الإيجاز ، لتقرير عظاتها وعبرها فى الأذهان ، فلم يتعرض للمدة التى قضاها موسى فى التابوت ، ولم يتعرض القرآن للعصا بأكثر من أنها مجرد عصا ، كما لم يتعرض القرآن لعدد السحرة الذين آمنوا بموسى ، ولم يتعرض لعدد

الألواح التى كتب الله له فيها من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء ، ولم يتعرض لنوع ولا قيمة الكنز الذى كان تحت جدار اليتيمين ، بالمدينة التى أبى أهلها أن يضيفوا موسى وصاحبه ، الذى علمه الله من لدنه علماً .

والذى يستعرض تفاسير المفسرين فيما أشرت إليه ، لابد أن تتصدع أعصابه من الخلط والحشو اللذين لا مبرر لهما .

فهم يتبارون فى سوق الروايات المتضاربة لتحديد الأيام التى قضاها موسى فى التابوت ، وتحديد عدد السحرة الذين آمنوا به ، وعدد الألواح التى أنزلها الله عليه ، وتفننوا فى وصفها ، حتى قالوا : إنها من ذهب ، وما إلى ذلك ، كما تفننوا فى وصف الكنز الذى كان تحت جدار اليتيمين ، حتى قالوا : كان لوحا من الذهب مكتوبا عليه بعض العظات والحكم التى ابتكرها الخيال وحده ، وتفننوا فى وصف العصا ، حتى ذكروا طولها وسمكها والخشب المصنوعة منه .

وفى قصة يوسف عليه السلام سوق رائجة لحشو المفسرين الممل المتعب ، الذى جعل منها أشبه بقصص « ألف ليلة وليلة » ، وكانت قصة داود مع الخصمين ، وقصة سليمان مع ملكة سبأ ، وقصة عيسى مع طلاب المائدة . كانت هذه القصص وأمثالها مجالا فسيحا ، لخيال المفسرين الذين أفسدوا معانى القرآن ، وشوهوا عظاته البالغات .

ولم تكن قصص القرآن وحدها هى المجال الفسيح لحشو المفسرين ، بل إن فى الآيات التى لم ترتبط بقصص القرآن ، مجالا فسيحا آخر لهذا الحشو الذى كان - ولا يزال - ضروريا بالنسبة لتفاسيرهم .

إنك لتقرأ لهم مئات الآراء حين يتعرضون (للأمانة) التى

ذكرت فى قوله تعالى : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والارض .. » ٧٢ - الأحزاب .

وفى تفاسيرهم كثير من التخبط فى بعض الآيات ، هذا التخبط الذى لا يتفق والمنطق السليم ، ولا مع سمو القرآن الكريم .

فى الفقه :

إن مشكلة المشكلات هو الفقه الاسلامى ، وليست العلة فى ما وضع الأولون من فقه ، منذ بضعة عشر قرنا . ولكن العلة فى عكوف المسلمين على تقليد أولئك الفقهاء تقليدا أعمى ، ومحاولة التماس النجدة من مصنفاتهم ، فى كل ملمة تلم بنا ، دون تصرف فى تطور الحياة وتقلبات سننها .

إن تطور الألفاظ العربية ، والتجديد فيها ، كفيلان بان يفرضا علينا شيئا من التحرر من هذه المؤلفات القديمة ، متونها وحواشيها ؛ ولكن تقديس القديم يقف عقبة دائما فى سبيل كل نهضة ، يراد لها أن تحل من عقالها . .

لسنا نغمط فقهاءنا الأولين أقدارهم ، وفى مقدمتهم أئمة المذاهب الأربعة المتداولة ، فقد خدموا الشريعة خدمة جليلة ، بقدر ما سمحت لهم بيئات المسلمين ومجتمعاتهم ؛ واستطاعوا أن يرفعوا من مكانة الاجتهاد ويصونوا قدسيته ؛ وتركو بابه على مصراعيه لمن بعدهم ، ولم يغلق إلا بعد قرون عدة من وفاتهم ، وكان للسياسة اليد الطولى فى إغلاقه .

ونحن حين نحاول إصلاح الفقه ، يجب أن يعتمد هذا الإصلاح على دعامتين — كما رأى الإمام محمد عبده : الدعامة الأولى ، فتح باب

الاجتهاد ، وإلغاء التقليد الأعمى ، فأئمة المذاهب الاسلامية جميعها ، بما فيها الأربعة المتداولة اليوم فى بلاد المسلمين ، لم يريدوا أبدا أن يقلدوا ، ولكنهم أرادوا أن يفتحوا باب الاجتهاد لكل مقتدر ، ولذلك خالفهم فى حياتهم تلاميذهم دون أن ينكروا عليهم .

والعكوف على هذه المذاهب الأربعة ، تتلاشى معه الفائدة المرجوة من اجتهاد أئمتها ، ولن يحقق السماحة التى قام عليها التشريع الإسلامى .

والدعامة الثانية : كتب الفقه ، هذه الكتب التى كتب عليها أن تخلد دون أن تمس ، وأن تقدس دون أن ينال مسلم من قدرها .

إن معظم هذه الكتب مضت عليها قرون عدة . ولا يقر عاقل أن تظل إلى الأبد ، إلا إذا أيقن أن الحياة لن تتحرك ... وسننها لن تتطور ما دامت السموات والأرض .

نحن لا نطالب بإعدامها حتى تختفى من الوجود ، ولكن نطالب بحفظها — كتراث لأصحابها — فى متاحف دور الكتب فى العواصم الاسلامية ، وليرجع اليها من يشاء فى المسائل الفقهية الخالدة كالعبادات مثلا ، كما نطالب بمؤلفات فقهية جديدة تساير الزمن ، وتستوعب ما جد فى حياة الناس ، وتحقق اليسر الذى أراده الإسلام لتشريعه .

وهذه المؤلفات الفقهية التى نريدها ، إنما نريدها متحررة من التقليد ، فالمسائل المتفق عليها ، لا تقليد فيها من طبيعتها ، والمسائل المختلف فيها لم تختلف فيها عقول الفقهاء ولا أفكارهم ، وإنما استخلص كل منهم رأيه معتمدا على تفسير آية قرآنية ، أو على حديث نبوى ثبت عنده ، ولذلك لا يصح أن نقول هذا رأى مالك أو أبى حنيفة ، أو الشافعى أو

أحمد أو غيرهم ، وإنما هو رأى الشرع ، وللمسلم أن يأخذ بأرجح الآراء أو بأيها . غير متقيد بواحد منها ، وبذلك تتحقق رحمة التشريع الإسلامى .

الحديث النبوى :

مشكلة الحديث النبوى ، مشكلة لها خطورتها ، فهو الأصل الثانى للتشريع الإسلامى بعد القرآن الكريم .

ظل الحديث النبوى أكثر من قرن محفوظاً فى القنوب ، تتناقله الألسنة ، وتتدارسه العقول ، وقد فكر عمر بن الخطاب حين وَلِىَ الخلافة أن يدون الحديث النبوى ، ولكنه خشى أن يكب المسلمون على كتب السنة ، ويتركوا كتاب الله ، كما فعل بنو اسرائيل .

وفى أوائل القرن الثانى من الهجرة ، عزم الخليفة عمر بن عبدالعزيز على تدوين السنة ، خوفاً عليها من الضياع بموت الصحابة والتابعين ، فكلف ابن حزم تدوينها .

إن ترك السنة ، طيلة أكثر من قرن بدون تدوين هو الذى خلق المشكلة ، ولو أنها دونت ، لكان لنا سنة متفق عليها ، ولكن لا حيلة لنا فيما قضى الله .

لقد تفرق أصحاب رسول الله فى الأمصار بسبب الفتوح ، وهم وعاة السنة وحفاظها ، ولقد لاقى أئمة الحديث مشقة كبرى فى جمع السنة ، وتكبدوا ما تكبدوا ، فى سبيل تأدية أجل خدمة للدين ، وكان من الضرورى أن تنشأ الاختلافات فى الروايات ، فإن بعض الصحابة قد حفظ الحديث كما سمعه ، والبعض قد حفظ الحديث كما فهمه .

ثم إن الاختلافات السياسية كانت أكبر عامل فى إحداث التضارب فى رواية الحديث ، فكل من السنية والشيعة والخوارج والمرجئة ، اهتم من الأحاديث بما يختص بمذهبه ويوافقه ، وحاول تقوية روايته ، وفى ظل معارك هذه الطوائف ، دس الكثير على أحاديث الرسول ، وتخصصت طائفة من الزنادقة فى وضع الأحاديث لتهدم الإسلام ، كما تخصصت طائفة من البلهاء فى وضع الأحاديث ظناً منها أنها ستخدم الإسلام .

ولعلاج هذه المشكلة يجب أن تحقق الأحايث النبوية تحقيقاً نزيهاً لا تعصب فيه ، بعد أن تنقى تنقية تامة من الموضوعات التى دست عليها ، والذى ثبت صحته فعلى الرأس والعين ، والذى ثبت ضعفه يجب أن يترك جانباً ، ليؤخذ منه وقت الحاجة مايقره العقل والشرع ، وتتطلبه المصلحة العامة والخاصة .

ويجب أن توضع مؤلفات جديدة تستوعب الصحيح من كتب السنة كلها ، ومؤلفات جديدة تستوعب ماحوته كتب السنة من حديث ضعيف ، ومؤلفات أخرى تنفرد بالموضوعات التى اشتملت عليها أيضاً ، وليس فرضاً علينا أن نظل عاكفين على كتب الحديث الستة ، ولا على غيرها ، لأنها لم تؤلف لتسير مع القرآن جنباً إلى جنب .

والمهمة الثانية : أن تراجع المؤلفات الإسلامية الواسعة الانتشار ، ليفصل فيما جمعته من أحاديث ، كما هو موجود فى بعض المؤلفات الإسلامية ، ومنها كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ، والذى خرّج أحاديثه الحافظ العراقى ، والكتاب من غير تخريج الحافظ العراقى لأحاديثه — لا كبير قدر له .

والمهمة الثالثة تقع على عاتق جمهرة المسلمين ، فالواجب عليهم أن يدققوا النظر

فى الأحاديث التى يتناولونها حين يكتبون وحين يقرأون وحين يدرسون، فلا يكتب ولا يقرأ، ولا يدرس من الأحاديث النبوية إلا بإثبات رواية الحديث ودرجته.

وبذلك يمكن تقديم إسلام مصفى للمسلمين يرفع من شأنهم، وينهض بأقدارهم. ويمكن ضبط معلوماتنا الأسلامية التى كثيراً ما تعتمد على الأحاديث بجانب القرآن. ولا يمكن لمحترف أن يدجل ويشعوذ ويخدم مذهبه على حساب فوضى الأحاديث الدينية. التى تتناقلها ألسنة العامة والجهلة دون فقه أو تدبر..

اذا قدر للأحاديث النبوية أن تنظم، وقدر للمؤلفات الإسلامية الكبرى والمتداولة أن تحقق أحاديثها، وقدر للمسلمين ألا يتناولوا إلا ما حقق منها وفصل فيه، استطعنا أن نخدم الدين عن طريق السنة. ونخدم العقول، ومعلوماتنا، وأن نفض خلافاتنا التى لم تزل إلى اليوم تمزق وحدة المسلمين، وتفرق كلمتهم.

فى بيوت الله:

إن بيوت الله تعالى لم تقم إلا ليتخرج فيها شعب مسلم قوى، وإلا. ليدرس فيها النظام العملى الذى ينهض بهذا الشعب حتى يبلغ به القمة. وإلا لتزود العقول بقسط وافر من الثقافة الاسلامية الخالصة.

ولا نظن أن مساجدنا على حالتها الراهنة تستطيع أن تؤدى شيئاً من هذه الرسالة، ولا أن تحقق هدفا من أهدافها التى يجب أن تحقق.

أما تخريج شعب مسلم قوى فيها، فلن يكون الا على أيدى أئمة

المساجد وخطبائها . وهؤلاء أصبحوا اليوم موظفين من موظفى الدولة . ولا يعتبرون أنفسهم أنهم أصحاب رسالة يجب أن تؤدى .

فإذا قدر لهم أن يُدَرّسوا فى المسجد ، فلا يكادون يخرجون عن نطاق فقه العبادات مع إثارة كل اختلافات المذاهب الفقهية ، وعن نطاق التفسير المحشو بالاسرائيليات — أما المعانى الاسلامية الحية ، فلا تكاد تسمع فى المسجد بحال من الأحوال .

وحين يخطبون الجمعة ، فإنما يحاولون أن ينتقموا من المصلين حتى لا يفكروا فى صلاة الجمعة مرة أخرى ، فهم يطيلون الخطبة ، ويلتون ويعجنون . حتى توشك نفوس المصلين أن تزهق ، وليت للخطبة هدفا معينا ، أو مغزى مهما ، حتى يضطر المصلون إلى الصمت ليفيدوا منها . ويتعظوا بها .

كان الرسول — مع أدبه الرفيع ، وعظته البالغة ، وبلاغته العالية — يتخول أصحابه بالموعظة ، من وقت لآخر . ولم يطل الخطبة حتى لا يملوا ، بل كانت صلاته قصدا ، وخطبته قصدا . كما ورد فى حديث مسلم عن جابر .

وفى حديث عبد الله بن مسعود الذى رواه البخارى ومسلم :

« كان عبدالله بن مسعود يعظ الناس فى كل يوم خميس . فقال له رجل : يا ابا عبد الرحمن ! لوددت أنك ذكرتنا كل يوم . قال أما إنه يمنعنى من ذلك أنى أكره أن أملكم . وإنى أتخولكم بالموعظة . كما كان النبى (ص) يتخولنا بها مخافة السآمة علينا . »

وهؤلاء الخطباء العجزة يستبدون بالمصلين ، ويحبسونهم ساعة ونصف

بالمسجد . ليثرثروا بالأفكار السقيمة ، والمعانى المضطربة . والتوجيهات المهلهلة ، التى لا تمت إلى حياة الناس بصلة . .

حين خلعت فرنسا الفاجرة سلطان مراكش المسلمة . وتفجرت دماء الوطنيين فوق أرض مراكش فى العام الماضى — خلال هذه الأيام دخلت مع رفقة لنؤدى صلاة الجمعة فى أحد مساجد القاهرة ، ففيم كان يخطب الخطيب الموقر ؟

كان يحدث المسلمين عن ظلال الجنة ، وأن الراكب يسير فى ظل ورقة من أوراق شجرة من أشجار الجنة خمسمائة عام — وانتظرنا من الخطيب الموقر ، أن يشير إلى الجهاد من قريب أو بعيد ، وهو السبيل إلى هذه الجنة التى أخذ وصفها من وقت المسلمين ساعة كاملة . ولكنه لم يفعل ولم يحاول أن يفعل . . .

وليته وقف عند هذا الحد ، ولكنه تابع حديثه قائلا : ان السبيل إلى الجنة سهل ميسور ، فالكلمة الطيبة تدخلك الجنة ، وإماطة الأذى عن الطريق تدخلك الجنة ، والصلاة على النبى ولو مرة واحدة تدخلك الجنة . وقولك سبحان الله والحمد لله . يدخلك الجنة . . . وفضل الله كبير .

ولم يكن من حقنا وقتئذ أن نناقش هذا الخطيب ، ليفقه أن الجنة محفوفة بالمكاره — كما يقول الرسول — وأنها ليست رخيصة بهذه الدرجة . . .

وكنت ذات مرة فى الريف ، وحين حان وقت الجمعة ، استمعنا إلى العجب من الخطيب ، كان يقول للمصلين وكلهم تقريباً فلاحون كادحون ، لم يفارقهم بعد عرق الكد والتعب :

« إياكم والشيوعة فإنها كفر ، لأنها تنكر الله ، وتعادى الأديان ؛ وتحض على الرذيلة وارتكاب الفاحشة ؛ إنها تجيز للأخ أن يتزوج بأخته ، والابن أن يتزوج بأمه ، وتجيز للرجال أن يخالطوا النساء كيفما شاءوا ، لأن الزنا غير محرم فى شريعتها ..!!

ولم تكن دهشتى أقل من دهشة هؤلاء الفلاحين المكدودين . لهذا الخطيب الذى جعل من نفسه بوقاً لخطب وزارة الأوقاف دون تصرف .

كان فضيلة الشيخ محمود خليفة المدرس بكلية الشريعة ، خطيبا بمسجد الشامية بالقاهرة ، وكان يمد مجلة الاسلام التى تصدر بالقاهرة أيضا . بخطب الجمعة ، وقد كانت خطبه عصرية ؛ تعتبر مرآة لحياة القاهرة الصاخبة ، وكانت كثيراً ما تتناول موضوعات سياسية واقتصادية واجتماعية .

وكان لخطباء المساجد بالريف شوق بخطب الشيخ حتى يتحرروا من الدواوين العتيقة التى عاصرت قنصوه الغورى ، وعلى بك الكبير ، وكان من المضحك أن يخطبوا فى الفلاحين المكدودين عن صالة « بديعة مصابنى » وحفلات « سميراميس » و « مينا هاوس » ومخازى مصايف « سيدى بشر » و « رأس البر » و « كيلوباتره » ! !

فإذا تركنا حماقة الخطب المنبرية ، نجد حماقة أخرى فى بعض المساجد ، هذه المساجد التى تحاول جاهدة أن تعطل دولاب العمل ، ليبقى الناس طول النهار بالمساجد ؛ فالصلاة الواحدة لا تؤدى فى أقل من ساعة ونصف ساعة . ولا يقوى مسلم على مناقشة هؤلاء الأئمة المتنطعين ، الذين يصوغون الاسلام وفق حماقتهم وبلاهتهم .

والعجيب أنهم يؤكدون للسذج والمغفلين من المسلمين ، بأن إطالة

الصلاة إلى درجة الحماقة ، هى السنة المحمدية التى يجب تباعها ، ونحن نحيل عليهم هذه الأحاديث الصحيحة التى اتفق عليها البخارى ومسلم ، دون تعقيب عليها لأنها لا تحتاج الى تعقيب .

عن جابر أن معاذ بن جبل كان يصلى مع النبى (ص) ثم يأتى قومه فيصلى بهم الصلاة ، فقرأ بهم البقرة ، قال : فتجوَّز رجل فصلى صلاة خفيفة ، فبلغ ذلك معاذاً ، فقال : إنه منافق ، فبلغ ذلك الرجل ، فأتى النبى (ص) فقال : يارسول الله ، إنا قوم نعمل بأيدينا ، ونسقى بنواضحنا (١) . وإن معاذاً صلى بنا البارحة فقرأ البقرة ، فتجوزت ، فزعم أنى منافق ، فقال النبى (ص) : « يامعاذ . . أفتان أنت ؟ ، ثلاثا إقرأ — والشمس وضحاها — وسبح اسم ربك الأعلى — ونحوها » .

وفى حديث ابن مسعود الأنصارى قال : جاء رجل إلى رسول الله (ص) فقال : يارسول الله ، إنى والله لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا فيها ، قال : فما رأيت النبى (ص) قط أشد غضبا فى موعظة منه يومئذ ، ثم قال : « يا أيها الناس : إن منكم منفرين ؛ فأيكم ما صلى بالناس فليوجز ، فإن فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة » .

وفى حديث أنس بن مالك ، قال : ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم من النبى (ص) ؛ وإن كان ليسمع بكاء الصبى فيخفف مخافة أن تفتن أمه » .

فأين هؤلاء الحمقى من سنة محمد التى يدعون إحياءها والتمسك بها .

وهناك حماقة ثالثة ، مسئول عنها المشرفون على المساجد . والمصلون

---

(١) نواضحنا : جمع ناضح وهو البعير الذى يسقى عليه .

معا . أما مسئولية المشرفين على بيوت الله ، فمنحصرة فى الاهمال الشائن فى نظافة المسجد ، حتى يليق بالانتساب الى بيت الله تعالى ، فهم لا يولون المسجد عناية ، الا اذا فكر حاكم كبير أو عظيم خطير فى تأدية صلاة الجمعة به ، وفى غير ذلك ، فالمسجد مهمل اهمالا شائنا لا مثيل له .

ان المرتدى ملابس افرنجية ، لا يقبل مطلقا أن يقضى حاجته فى مرحاض المسجد ، ولا يقبل أن يتوضا فى دورة مياهه ، لأنه يحار فى إيداع ملابسه التى يرغب فى خلعها ... وكان لابد من ألا يؤدى الفريضة بالمسجد ما لم يكن متوضئا فى منزله .

ومسئولية المصلين تنحصر فى إهمالهم أنفسهم فى نظافة هيئاتهم ، فإن الكثيرين — وبالأخص فى يوم الجمعة — يغادرون أعمالهم بملابس العمل ، ليؤدوا الصلاة ، دون أن يتنظفوا أو يتطهروا . مع أن التطيب والتطهر من السنن التى أوصى بها الرسول صلوات الله عليه .

ومن الانصاف ألا يلقى اللوم كله على هؤلاء المقصرين فى حق أنفسهم ، المستخفين ببيوت الله تعالى ، لأن هناك قسطا كبيراً من اللوم يقع على عاتق أئمة المساجد ، الذين لم يتكرموا مرة بحث المسلمين على النظافة ، وإكرامهم أنفسهم حتى يليقوا بالانتساب الى خير أمة أخرجت للناس .

قال لى تاجر سورى يوما : تمنيت أن أستمع الى خطبة جمعة يحث الخطيب فيها المسلمين على النظافة والعناية بأنفسهم ، ولكنى كنت أبوء بالخيبة دائما ، فالشعب القوى انما هو مجموعة أفراد أقوياء ، ولن يكون الفرد قويا الا اذا اعتز بنفسه وأيقن بأن له كيانا وقدراً ..!

ولكن ما أبعد خطباءنا عن هذه الأمثلة الحية .

وهناك حماقة رابعة تدل على أبلغ درجات الفوضى ، ففى المساجد

الكبرى بالقاهرة ، كمسجد السيدة زينب مثلا ؛ ماهو أعجب من العجب ، فالمسجد يظل طول النهار ، وردحا من الليل صاخبا صخب الأسواق وأشد ؛ فالباعة المتجولون والمتسولون وباعة التعاويذ والأحجبة ؛ وقراء القرآن ؛ ودراويش الطرق الصوفية ؛ هؤلاء وغيرهم يحوطون المسجد ولا يرحمونه ساعة من ليل أو نهار .

فإذا مادخلت المسجد خيل اليك أنك فى سوق صاخبة ؛ ففى وسطه حلقة علم ، وفى زواياه قراء يتلون كتاب الله بصوت جهورى ؛ وفى ركن من أركانه جماعة تقرأ دلائل الخيرات ؛ وفى ركن آخر جماعة تذكر الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ؛ ومع هؤلاء سقاءون متطوعون لتقديم الماء لزوار الضريح والمصلين على السواء ..!

ولا يحاول المسلمون أن يفقهوا أن المساجد يجب أن يسودها الوقار والسكينة والهدوء ؛ لا الصخب والجلبة والغوغاء ؛ وكأنهم لم يقرءوا أبداً قوله عليه الصلاة والسلام .

« اذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون ؛ عليكم السكينة ؛ فما أدركتم فصلوا ؛ وما فاتكم فأتموا — متفق عليه .

فى سبيل صيانة المسجد من الصخب والغوغاء نهى الرسول (ص) أن يرتفع صوت فيه ؛ أو تحدث جلبة بين زواياه .

فى الحديث أن رسول الله (ص) قال : « من سمع رجلا ينشد فى مسجد ضالة ؛ فليقل لا أداها الله اليك ؛ فإن المساجد لم تبن لذلك » .

وفى حديث آخر : « اذا رأيتم من يبيع أو يبتاع فى المسجد ؛ فقولوا لا أربح الله تجارتك ؛ واذا رأيتم من ينشد فيه ضالة ؛ فقولوا لا رد الله عليك » رواه الترمذى .

ولكن أنى لهم هذا الفقه ..!؟

الإصـــلاح الاجتماعى

إن نواحى الإصلاح الاجتماعى متعددة لا حصر لها ، ونحن هنا فى هذه الصفحات القليلة لا نتحدث عما نود أن نتحدث عنه، ولا نستعرض على بساط البحث ما نرغب فى استعراضه — على سبيل الحصر ، وانما على سبيل محاولة التجاوب مع دعاة الاصلاح المخلصين، فى أبرز المشكلات التى تشغل الأذهان من فوق مسرح المجتمع .

فالطلاق . وتعدد الزوجات وتحديد النسل ... هذه المشكلات هى من أبرز المشكلات الاجتماعية فى الشرق الاسلامى كله ، ونود هنا أن نحقق فحسب ، إذا ما كان الاســـلام قابلا ومستعدا للتجاوب مع النزعات الاصلاحية التى تنهض بالمجتمع ، أم أنه غير قابل ولا مستعد للتجاوب معها ، بل سوف يقف عقبة كؤودا فى سبيلها . .

ولا يوجد مسلم واحد يتهم الاسلام بالأخرى ، لأن الاسلام مقدر عليه أن يظل خالدا إلى الأبد ، ولا بد له من تشريع مرن يتطور مع تطور الزمن حتى يضمن له الخلود .

ولا ينكر مرونة التشريع الاسلامى الا أحمق أو جاهلٌ أو غبى ، فالتشريع الاسلامى مرن كله ، ولم ترد مادة واحدة من مواده جامدة غير قابلة للمرونة .

وأنت اذا استعرضت أركان الاسلام الخمسة : شهادة ألا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله . وإقام الصلاة . وإيتاء الزكاة . وصوم رمضان . وحج بيت الله الحرام — أنت اذا استعرضت هذه الأركان الخمسة .

أدركت أن الشهادتين اللتين هما بمثابة تذكرة المرور للدخول إلى الاسلام ، يكفى الإنسان النطق باللسان بهما ، كما يكفيه فى حالة الاكراه أن يوقن بهما قلبه (... إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) . وكذلك الصلاة . يؤديها المسلم بأعضاء جسده كلها فى المسجد — إن تيسر له ذلك — كما يؤديها راكبا دابته فى الخلاء فى حالة الخوف . وبطرفى عينيه فوق فراشه . وبحالة خاصة فى ميدان الحرب . ويقصر الصلاة فى السفر ، وفى الاقامة يؤديها كاملة ، ومن تيسر له الماء توضأ ، وإلا يتمم بالصعيد ، وبما يمت إليه بصلة ، والصوم ، يؤديه المسلم المقيم والصحيح القادر ، وللمسافر والمريض أن يؤخرا الصوم حتى يقيم المسافر ويشفى المريض ، وللحائض والنفساء ، أن تؤجلا الصوم حتى تطهر الحائض وتنتهى مدة النفاس . وللشيخ العاجز عن الصوم أن يفدى بإطعام مسكين عن كل يوم .

وكذلك الزكاة ليست فرضا إلا على من يملك النصاب من المسلمين . والحج إلى البيت ليس فرضا إلا على من يستطيع اليه سبيلا .

هذه لفتة وجيزة نؤكد بها للحمقى المتعصبين ، أن تشريع الاسلام مرن مرونة ترفع من قدره ، وتهب له الخلود الذى أراده الله له .

وإليك أمثلة أخرى — نؤكد بها أن تشريع الاسلام وضع لمصلحة البشر ولذلك لم تصبه ذرة من الجمود والتعقيد ، فأنت ترى أن الاسلام حرم بعض المحرمات ، وفى مقدمتها الخمر والميسر ، والدم ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به ، وغيرها ، ولكنه أباح للمضطر أن ينال منها اذا ما اضطرته بعض الظروف ، حتى لا يكون التشريع عاملا من عوامل التضييق والحرج : وهو أبرأ ما يكون منها ، والى هذا يشير القرآن الكريم :

« حرمت عليكم الميتةُ والدمُ ولحم الخنزير وما أُهلَّ لغير الله به ، والمنخنقةُ والموقوذة والمتردّية والنطيحة وما أكل السبعُ الا ماذكيتم ، وما ذبح على النُّصُب وأن تستقسموا بالأزلام : ذلك فسقٌ : اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ، اليومَ أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ، فمن اضُطر في مخمصةٍ غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم » ٣ - المائدة .

« إنما حرم عليكم الميتةَ والدمَ ولحمَ الخنزير وما أهل لغير الله به ، فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فإن الله غفور رحيم » ١١٥ - النحل .

وإليك مثلا آخر يوضح لك أن التشريع الاسلامي لا يمكن أن يكون يوما ما ، عقبة في سبيل الإصلاح ، ولا يمكن أن يتخلف يوما ما ، عن ركب الاصلاح أينما سار ، لأن هذا التشريع لم يوضع إلا ليصلح الحياة ، ويهيئها طيبة خالصة للبشرية في شتى مراحلها .

ففي صحيح مسلم : أن الطلاق الثلاث كان يقع واحدة على عهد الرسول (ص) وأبي بكر وجزء من خلافة عمر ، ورأى عمر رضي الله عنه استخفاف المسلمين بالطلاق ، وأخذت ألسنتهم على لفظة الثلاث ، ولما رأى عمر (ض) في هذا الاستخفاف خروجا على قاعدة النظام التي وضعها الاسلام للطلاق ، عمد إلى تأديب أولئك المستخفين ، بإيقاع لفظة الطلاق الثلاث ، طلقات ثلاثا ، وذلك بعد أن استشار أصحابه قائلا : « إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ؟ فأمضاه عليهم »

ولم يكن يهدف عمر من تشريعه إلى تسهيل هدم كيان الاسرة بتيسير

الطلاق ، الذى لارجعة فيه ، وإنما كان يهدف إلى صيانتها بمكافحة الاستخفاف بالطلاق إلى درجة الخروج عن الحدود التى حدها الله .

ولقد شرع عمر رضى الله عنه عدة تشريعات ، لم يهدف من ورائها إلا إلى تحقيق المصلحة ، وهو لم يلجأ إليها إلا مضطرا ، فقد أوقف حد السرقة عام المجاعة ، لأن الدوافع إلى السرقة لم تكن سوى الجوع ، فكان حكم السارق كحكم المضطر الذى ينال من المحرمات .

ولم يكن الخليفة عمر مبتدعا ، فقد لجأ الرسول إلى تشريعات مؤقتة تقتضيها المصلحة ، فقد جاء فى البخارى أن النبى عليه السلام نهى المسلمين أن يبقوا لحوم الأضاحى أكثر من ثلاثة أيام ، فى سنة اجتاحها الجوع والفاقة والشدة ، حتى يمهد للجائعين والمحتاجين أن ينالوا من لحوم الأضاحى ، وما كادت تنتهى الشدة حتى أباح الرسول للمسلمين أن يدخروا لحوم الأضاحى إلى أى وقت شاءوا .

وقد روى الطبرانى عن أبى سلمة أن النبى عليه السلام ، نهى المسلمين فى أول الأمر عن زيارة القبور ، لأنهم حديثو عهد بالوثنية ، ثم أجاز لهم زيارتها لأن لهم فيها عبرة ، وذلك بعد أن استقرت العقيدة الاسلامية فى نفوسهم ، وأصبحوا لا يخشى عليهم فتنة الوثنية .

وخلاصة القول ، ان الفقهاء نصوا على أن التشريع إذا لحق منه الأمة أفرادا وجماعات الضرر والضرار أوقف ، أو حور إلى الدرجة التى يتنافى معها الضرر والضرار .

ففى سنن أبى داود ، أن النبى عليه السلام نهى أن يقام الحد فى الغزو فربما كان إقامة الحد سببا فى لجوء المحدود إلى أرض العدو ، أو سببا فى إشعال الاضطراب بين صفوف جيش المسلمين .

والأمثلة كثيرة ، والمهم أن نفقه ، أن تشريع الاسلام مستعد لأن يتجاوب مع نزعات الاصلاح ، التى تهدف إلى النهوض بالمجتمع الاسلامى وترفع عن كاهله الضرر والحرج .

* * *

الطلاق :

مشكلة الطلاق يجب أن تناقش على ضوء الإحصائيات فى بلاد المسلمين ، وآخر إحصائية للطلاق فى مصر ، تقرر أن الطلاق يهدم سنويا زهاء ثمانين ألف أسرة ، ليس من بينها ٢٪ تستوجب حالها الطلاق ، والثمانية والتسعون فى المائة هدمها الطلاق بدافع من الحمق والطيش ، والهوى الأعمى ، ولك أن توقن بأن ٩٠٪ من هذه الأسر المنهارة فقيرة فقراً مفزعاً ، ولك بعد ذلك أن تدرك بنفسك ذلك الجيش الجرار من الأطفال ، الذى تدفع به هذه المأساة إلى الشوارع حيث التشرد الذى يهب له الضياع .

وللمتعصبين بعد هذا أن يكفِّروا دعاة الاصلاح حين يطالبون بالتشريع الذى ينظم الطلاق ، حتى لا يكون أداة هدم لكيان الأسر ، لأن قلوبهم قد أصابها العمى ، وأفهامهم قد أصابها الحمق والسفه .

إنا نعتبر الطلاق رخصة للذين يحسنون استعمالها ، فإذا ما أساءوا استعمالها ، كانوا سفهاء وسلبت منهم ، وإذا كان الإسلام نص على ألا يؤتى السفهاء أموالهم متى أساءوا استغلالها ، أفليس أحق بالحجر على هؤلاء السفهاء الذين يستغلون الطلاق فى هدم أسرهم ، وتشريد أطفالهم ؟

ونحن إذا استعرضنا قضية الطلاق وجدنا أن الاسلام رسم طريقا

واضحا يحول دون إيقاع الطلاق . فإذا ما ساء خلق الزوجة ، كان على الزوج أن يبدأ بوعظها ، فإذا لم يُجْدِ الوعظ نفعا لجأ إلى هجرها في المضاجع ، فإذا لم يجد الهجران نفعا ، لجأ إلى ضربها ضربا غير مبرح ، لا يشوه الوجه ، ولا يخدش اللحم ، ولا يكسر العظم ، فإذا لم يجد معها هذا ولا ذاك ، ودب الشقاق بينهما ، بُعِث إليه بحكم من أهله ، وحكم من أهلها ، ليدرسا الشقاق ، ويحاولا التوفيق بينهما ، وإلى هذا يشير القرآن الكريم بقوله :

« . . . والتي تخافون نُشوزَهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، إن الله كان عليا كبيراً — وإن خفتم شقاقَ بينهما فابعثوا حَكَما من أهله وحكما من أهلها ، إنْ يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما ، إن الله كان عليما خبيراً . »

٣٤ ، ٣٥ — النساء

فإذا ما فشلت هذه الوسائل في إعادة حياة مستقرة سعيدة إلى الاسرة ، وأقر الحكمان التفريق بين الزوجين ، كان هناك الطلاق الرجعي ، وألزم الزوج أن تظل زوجته معه إلى أن تنتهي عدتها ، لعل الفرصة تسمح بعودة الوفاق بينهما ، فيعمد الزوج إلى إرجاعها إلى عصمته من جديد . وإلى هذا يشير القرآن الكريم !

« يا أيها النبي إذا طلقتم النساءَ فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ، ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، وتلك حدودُ الله ومن يتعدَّ حدودَ الله فقد ظلم نفسه ، لا تدري لعل اللهَ يُحدث بعد ذلك أمراً . »

١ — الطلاق

وبعد أن تنتهي عدتها . كان للزوج أن يراجع نفسه ، وأن يقدر

للأمور قدرها ، فإن رأى فى الإبقاء عليها خيرا أبقاها ، وإلا فارقها بمعروف ، ولا بد من الإشهاد فى الحالين ، وإلى هذا يشير القرآن :

« فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله . . » ٢ - الطلاق

ولكى يحول الاسلام دون انهيار الاسرة جعل الطلاق مرتين ، حتى يكون هناك مجال للالتئام ، إذا حدثت الطلقة الأولى والثانية ، وإذا لم يحدث هذا الالتئام بعد المرتين ، حدثت الطلقة الثالثة الأخيرة ، لتكون دليلا على تلاشى كل أواصر المودة بين الزوجين ، وعدم إمكان تيسير الحياة الهادئة لهما .

* * *

هذا تمهيد لا بد منه ، ليدرك المتعصبون ، أن الاسلام لم يشرع الطلاق إلا للمضطر ، ولا يشرعه معولا لهدم الأسر وتشريد الأطفال ، وقد ذكر الفقهاء — كما جاء فى الجزء الرابع من المغنى — أن الطلاق الذى لاندعو إليه الحاجة محرم ، ويؤيد هذا قول النبى صلوات الله عليه :

« أيما امرأة سألت زوجها الطلاق فى غير ما بأس ، فحرام عليها رائحة الجنة » رواه الخمسة الا النسائى .

ولنعد إلى موضوع بحثنا ، فالمصلحون اليوم يرون ضرورة تقييد الطلاق إلا بأذن من القاضى ، والمتعصبون الحمقى يقولون بكفر هؤلاء المصلحين ، وأنهم إنما يهدمون الشرع ويعبثون بالتشريع .. والمصلحون المخلصون ، لهم تقديرهم فى نظرنا لأنهم إنما يحاولون إصلاح الأسرة ، حتى لايكون تشريع الإسلام سُبَّة فى جبينه . والمتعصبون للوقوف عند حدود التشريع ،

يخشون أن يكون هذا الاتجاه بداية للعبث بالتشريع، بدافع من الهوى والغرض، ولغيرتهم تقديرها فى نظرنا أيضاً.

وإلى الآخرين نوجه القول، فهل ينكرون أن الاسلام أمر ببعث حكمين من أهل الزوجين. وأن الفقهاء اعتبروا حكمها ملزما لكليهما؟

ألم يتدخل النبى حكما بين زينب بنت جحش وزوجها زيد، والزم زيدا أن يمسك عليه زوجه، والقصة مشهورة فى القرآن.؟

ألم يتدخل النبى حكما بين ثابت بن قيس وزوجته جميلة، وفرق النبى بينهما، لأنه رأى الخير فى التفريق بينهما. والقصة فى صحيح البخارى؟

ألم يرسل الخليفة الثالث عثمان رضى الله عنه، ابن عباس ومعاوية حكمين بين عقيل بن أبى طالب، وزوجته فاطمة بنت عيينة، وقال لهما: «إن رأيتما أن تجمعا بينهما جمعتما. وإن رأيتما أن تفرقا فرقتما.» والقصة مشهورة فى كتب السيرة المعتمدة.

إذا كان الأمر كذلك، فأى مانع من أن تدرس دوافع الطلاق قبل وقوعه، فإذا كانت تستحق التفرقة ولا يصلح غيرها، فرق بين الزوجين وإذا لم تكن تستوجب التفرقة أصلح بينهما، وليس فى هذا الاجراء ما يمس التشريع الاسلامى فى كثير أو قليل.

يقول البعض: إن الالتجاء إلى المحاكم مما يزيد اشتعال الخصام بين الزوجين، ويفشى أسرار الأسرة الدقيقة.

ونحن نقول لهذا البعض: إن الرجل العاقل يجب أن يلتزم خطوات الشرع، فى محاولة إصلاح زوجته حين تتحول أخلاقها، فيعظها أولا، ثم يهجرها ثانيا، ثم يضربها ضربا غير مبرح ثالثا، ونعتقد أن اتباع هذه

الخطوات قد يعود بالمرأة إلى صوابها ... وإذا تطورت المسألة إلى المحكمة فليعتقد كلاهما أن عليها التزام حدود الشرع فى التقاضى، وأن هدفها الصلح جهد المستطاع — لا اشتداد النزاع والخصام.

أما خشية إفشاء أسرار الأسر، فمن الممكن أن يقترح سرية الجلسات فى مثل هذه الأحوال.

سمعت هذا البعض يندد من فوق المنبر فى خطبة الجمعة قائلا: إن تقييد الطلاق وإلجاء الزوجين الى المحاكم بهذه الصورة، خروج على الاسلام وكفر بتشريعه، ولم نسمع أن حدث فى عهد النبى ولا الصحابة أن أمر الأزواج المتنازعون باللجوء إلى المحاكم، بل كل حر فى أن يطلق أو يمسك..»

ونحن نفهم أن هذا الخطيب وأمثاله، مندفعون بالعاطفة الدينية ليس إلا، فالمعروف أن المحاكم لم تكن قائمة فى عهد النبى ولا فى عهد أصحابه، أما فى عهد النبى فقد كان هو القاضى الحاكم بين المسلمين، ولم تصل إليه حالة نزاع بين زوجين الا تدخل حكما بينهما، وقد ضربنا كثيراً من الأمثلة التى لا داعى هنا لتكرارها، بل قد كان البعض من أصحابه يستأذنه فى طلاق زوجته بعد أن تعييه الحيل، وقد جاء فى تفسير ابن كثير بالجزء الأول، أن أبا أيوب الأنصارى استأذن النبى فى طلاق إمرأته، فقال له (ص) يا أبا أيوب «إن طلاق أم أيوب لحوب» أى لأثم فأمسك زوجته.

والمعروف أن الاسلام لم يشرع الطلاق ليكون سلاحا فى يد الزوج، ومعول هدم يستعمله متى شاء، ولكنه شرعه رخصة يلجأ اليها المضطر فإذا أساء استعمالها سلبت منه.

قال ابن عابدين من فقهاء الحنفية :

« وأما الطلاق فالأصل فيه الحظر — أى الحرية — والإباحة للحاجة إلى الخلاص ، فإذا كان بلا سبب أصلا لم يكن فيه حاجة إلى الخلاص ، بل يكون حمقا وسفاهة رأى ، ومجرد كفران للنعمة »

* * *

تعدد الزوجات :

وهذه هى المشكلة الثانية ، وهى ليست أقل خطراً من سابقتها ، لأن كليتهما تهدد استقرار الأسرة وسعادتها ، ولأن كلتيهما استغلت سلاحا ضد الزوجة ، ولم تستغل رخصة يلجأ إليها المضطر فحسب ، ليرفع عن كاهله الحرج ، ويجد لنفسه مخرجا من الأزمات المستحكمة .

كنت أناقش أحد العلماء الدينيين هذه القضية ، إثر قوله فى مجلس محترم :

« إن محاولة تقييد الزواج بواحدة يعتبر خروجا عن الدين ، وإلحادا فى تشريع الله ، ورجوعا إلى النصرانية التى لا تبيح التعدد .. ! »

قلت لفضيلته : ما رأيك فى عامل ذى أجر محدود ، يعول أسرة من زوجة وخمسة أبناء ، ويعيش معها بأجره المحدود عيشة ضيقة ، فهل يقره الاسلام على الزواج من ثانية لمجرد الكيد لزوجته الأولى ، أو الوقوع فى حب فتاة لعوب ؟

فأجاب فضيلته : إن الاسلام لا يمنعه ، لأنه منحه الرخصة فى هذا ..

قلت لفضيلته : إن فلسفة التشريع لأعقل من أن تقر الضرر والضرار، وأعقل من أن تهب للأسر حياة الاضطراب ، وللأطفال حياة التشرد والضياع ، وأعقل من أن تقر سفه السفهاء وحمق الأغبياء . .

ولم يسعفنى الوقت لأقول لفضيلته : إن هذه الرخصة لا يمنحها الاسلام إلا المضطر إليها ، ولا يمنحها العابثين من السفهاء الذين تستوجب حالتهم الحجر عليهم .

والذين قدر لهم أن يدرسوا قضية التعدد فى الاسلام بإخلاص ونزاهة ، يتأكد لديهم أن التشريع مضيق فيها تضييقا شديداً ، فالآية التى أباحت تعدد الزوجات اشترطت العدل وفى نفس الوقت ناصرت الاكتفاء بالواحدة ، منعا للحرج ونجاة من الوقوع فى جريمة الجور :

« . . فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ، أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا . . . »

ويقصد من العدل هنا ، العدل بين الزوجات من ناحية ، والعدل بين الرجل ونفسه من ناحية أخرى ، كأن لا يحملها فوق طاقتها ، اذا كانت ظروفه المادية مثلا ، لا تكفى للإنفاق على أكثر من واحدة ، ولذلك يجب أن يفسر العول فى الآية على وجهين : الجور ، وكثرة العيال .

ولقد ناصرت آية أخرى الاكتفاء بالواحدة ، حين أشارت إلى عدم توفر إمكانيات العدل فى الرجال مع حرصهم عليه ، لتحول بينهم وبين التعدد الذى يسبب لهم الحرج فى حياتهم .

« ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيما » ١٢٩ ـــ النساء .

على أن الأصل فى تعدد الزوجات الإباحة ، للذين يقوون على الإنفاق والعدل بين الزوجات ، فإذا فقد الرجل أحدهما أو عجز عنه ، لم يرخص له بهذه الإباحة ، ولولاة الأمور (أى الحكومات الإسلامية) أن تحرم المباح على من يسيئون استعماله ، ويلحقون بأنفسهم ومجتمعهم وأمتهم الضرر.

قال الأستاذ الإمام فى تفسير المنار ج ٣ ، بعد أن تعرض لتفسير الآيتين السابقتين :

« فمن تأمل الآيتين السابقتين علم أن إباحة تعدد الزوجات فى الإسلام ، أمر مضيق فيه أشد التضييق ، كأنه ضرورة من الضرورات التى يتاح لمحتاجها ، بشرط الثقة بإقامة العدل والأمن والجور ، وإذا تأمل المتأمل مع هذا التضييق ، مايترتب على التعدد فى هذا الزمان من المفاسد ... جزم بأنه لا يمكن لأحد أن يربى أمة فشا فيها تعدد الزوجات ، فإن البيت الذى فيه زوجتان لزوج واحد لا تستقيم له حال ، ولا يقوم فيه نظام ، بل يتعاون الرجل مع زوجاته على إفساد البيت ، كأن كل واحد منهم عدو للآخر ، ثم يجىء الأولاد بعضهم لبعض عدو ، فمفسدة تعدد الزوجات تنتقل من الأفراد إلى البيوت ، ومن البيوت ، إلى الأمة » .

وبعد أن تحدث الأستاذ الإمام عن المآسى التى تشعلها إباحة تعدد الزوجات فى البلدان الإسلامية قال :

« ... أما والأمر على مانرى ونسمع ، فلاسبيل إلى تربية الأمة مع فشو تعدد الزوجات فيها . فيجب على العلماء النظر فى هذه المسألة خصوصا

الحنفية منهم الذين بيدهم الأمر ، وعلى مذهبهم الحكم ، فهم لا ينكرون أن الدين أنزل لمصلحة الناس وخيرهم ، وأن من أصوله منع الضرر والضرار ، فإذا ترتب على شيء مفسدة فى زمن ، لم تكن تلحقه فيما قبله ، فلا شك فى وجوب تغير الحكم وتطبيقه على الحالة الحاضرة : يعنى قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح »

والمتعصبون دائما ينساقون وراء عواطفهم الدينية ، دون أن يفقهوا فلسفة التشريع ، فإنه يرضيهم أن يساء إلى التشريع الإسلامى ، بسبب تصرف الجهلة من المسلمين ، ولا يرضيهم أن يضرب على أيدى هؤلاء الجهلة صونا لسمعة الاسلام .

وكما أن الطلاق رخصة للمضطر ، فإن تعدد الزوجات رخصة أيضاً للمضطر ، ولا ينال كلتيهما إلا المحتاج فحسب .

وفلسفة التشريع الإسلامى اقتضت أن تكون رخصتا الطلاق والتعدد رحمة ومخرجا من الضيق والحرج ، فلو لم يُبَح الطلاق والتعدد للمضطر ، للجأ إلى قتل زوجته أو رميها زورا بالزنا ليتخلص منها ، وإذا لم يلجأ إلى هذا أو ذاك ، كتب عليه أن يحيا حياة ملؤها التعاسة والشقاء ...

والذى لم يوفق فى حياته الزوجية ؛ واستحال تقويم أخلاق زوجته يجد من الطلاق مخلصا منها ، والغنى الذى تزوج عاقرا ، أو انتاب زوجته مرض مزمن ، يجد من رخصة التعدد ما يهيء له حياة هنيئة سعيدة ، وبذلك تكون رخصتا الطلاق والتعدد رحمة ذات مغزى دقيق .

والأحمق الذى يستغل الطلاق والتعدد هدفا لاهوائه وحماقاته ، وسلاحا يشهره فى وجه زوجته كلما طاب له ذلك ، ليس جديرا بهاتين الرخصتين ، ولا مستحقا لهما .

تحديد النسل :

وهذه هى المشكلة الثالثة ، أو القضية الثالثة ، وهى أحرى بأن يطلق عليها كلمة قضية ، المدعى فيها المجتمع الإسلامى ، والمدعى عليه كتيبة المتعصبين ، والقاضى الإسلام ، والشعب المسلم النظارة .

يرى المنادون بتحديد النسل ، أن هذا التحديد ضرورى للبلاد الإسلامية التى تعانى آلام الفاقة ، ومتاعب الفقر ، لرفع مستوى المعيشة بين شعوبها من ناحية ، ورفع مستواها الصحى من ناحية أخرى ، ولهؤلاء منطقهم الواقعى ، وفى أيديهم حجة قوية من الإحصائيات الرسمية ، وتشخيصات حالات الشعوب .

ويثور المتعصبون متهمين دعاة التحديد بالكفر والزندقة ، والمروق من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، وليس لهم منطق ، وليس فى أيديهم حجة ، غير هذه الثرثرة العرجاء ، وقد يكون فى جانبهم الحق ، ولكن تعصبهم الطائش يجعلهم دائماً عاجزين عن تكييف هذا الحق ، فليس أقرب إلى ألسنتهم من عبارات الكفر والزندقة والمروق ، يقذفون بها دون أن يلقوا لها بالا . . . وكفى ، وهذه العبارات لاتقوم حجة ، ولا تصلح منطقاً .

استمع إلى هؤلاء المتعصبين ضد فكرة التحديد ، وهم يقولون : لماذا يحدد النسل ، والرسول يقول : تناكحوا تناسلوا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة . . » ؟ ، فإذا كان خشية الفقر . فالله تعالى يقول :

« وفى السماء رزقكم وما توعدون . . »

ولكنهم نسوا أن الرسول أخبر فى الحديث الصحيح ، أن الأمم لن تتكالب على المسلمين ، ولن يدب الضعف إليهم ، إلا وهم كثرة كغثاء السيل ، ونسوا أيضاً أن الرسول عنى بالتكاثر المحوط بالقوة ، لا التكاثر المهلهل الذى هو غثاء كغثاء السيل ، ونسوا ثالثاً أن يفقهوا أن فلسفة الآية الكريمة لا تتفق مع منطقهم . وحاشا أن تدعو إلى التواكل والدعة والخمول ، لأن الله لا يسوق الرزق إلى المتواكلين الخاملين ، ولكنه يهبه للنشطاء العاملين ، ولعلهم لم يقرءوا أن الخليفة عمر رأى جماعة متسكعين بالمسجد . فسألهم من أنتم ؟ قالوا : نحن المتوكلون ، فعلاهم بالدرة ، وقال لهم : بل أنتم المتواكلون لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول : اللهم ارزقنى ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ..!

لقد كتب بعضهم يندد بتحديد النسل ويقول : إنه كفر وعدم ثقة بالله عز وجل . . . وما إلى ذلك .

ومن الطبيعى أن هذا وأمثاله أحمق من أن يفقهوا أى شىء ، وكأنهم لم يمروا قط بقوله تعالى : بل الإنسان على نفسه بصيرة . . !

كان بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، يدخر قوت عامه وأكثر من باب الحيطة ، فهل كان غير واثق بالله عز وجل ، وهل الاقتصاد الذى يقول عنه الرسول إنه نصف المعيشة ، يعتبر أيضاً عدم ثقة بالله عز وجل ؟

ولكنه الحمق . . والحمق وحده . !

إن من أهم مؤهلات الزواج القدرة على الإنفاق ، والقرآن نفسه صرح بهذا ، «وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله .» وكذلك الحديث الصحيح : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة

فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء . . وجاء = وقاية

إذا كان الإسلام ينصح العاجزين عن تبعات الزواج وتكاليفه بالصبر ، وهو السنة المرغب فيها ، والوسيلة إلى التناسل ، أفليس هـذا التناسل أجدر بالصبر عنه ، ما دام رب الأسرة غير كفء للقيام بأعباء النسل ؟

حضرت ذات مرة مجلسا ضم شرذمة من المتدينين ذوى العمائم المتراقصة ، لإنهاء نزاع قائم بين أب جاهل وابن متعلم ، فالأب الذى دخل فى العقد الثامن من عمره ، يأبى إلا أن يتزوج فتاة صغيرة عذراء ، وحجته أنه حر فيما يشاء ، رغم أنه له من البنين والبنات جيشاً كبيراً ، ورغم أن دخله محدود بحيث لا يقوم بأكثر من اثنين ، اذا عاشا عيشة متواضعة .

وقال الابن المتعلم : إن والدى لا يقدر للأمور قدرها ، فإذا ماتزوج عذراء ضم إلى جيشه بضعة نفر ، وبالطبع سوف يضع نفسه ، ويضعنا معه فى حرج لا طاقة لنا به ، وماذا لو تزوج ثيِّباً عاقراً تصلح من أحواله ، وتقوم بخدماته ، ولا تعيش معنا إلا عِبئاً خفيفاً ، وأنا موظف بسيط ذو راتب محدود ، يضطرنى إلى الصبر الواسع عن الزواج ، ولا أقوى إذا ماقدر لى الزواج ، على أن أعين جيش والدى الحاضر والمستقبل .!

ولم أكد أبدى تأييدى لمنطق الابن المثقف العاقل ، حتى راحت العمائم تضطرب وتهتز ، والألسنة تعبر عن هذه العمائم ، بأن هذا كفر ، فالله موجود ، لا يخلق نفسا إلا ومعها رزقها ، ومامن دابة فى الأرض إلا على الله رزقها . . !

قلت لهذه العمائم : إن الله منحنا عقولا نفكر بها ونقدر للأمور قدرها ، ومن العقل أن يكيف الإنسان منا حياته جهد طاقته، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ...

ولم تستطع ثقافتنا ولا منطقنا أن يقنعا العمائم الموقرة ، وانسحبنا تودعنا نظراتهم الساخرة .

إننا لا نقر قانوناً جامداً يحتم على الشعب على اختلاف حالاته تحديد النسل ، ولكننا نريد تشريعا حازما يعامل كلا حسب حالته ، المادية والصحية والجنسية ، حتى يخفف من حماقات الجهلة المتنطعين ، ولا يدع هؤلاء الحمقى يقذفون إلى وجه البسيطة نسلا ضعيفا هزيلا ، لا يمت إلى الآدمية إلا من ناحية الشبح .

كان أصحاب محمد عليه السلام يعزلون والقرآن ينزل ، ولم ينههم عن العزل (ص) كما ورد فى الصحيحين ، ولذا قرر الفقهاء ، أنه يجوز للرجل أن يعزل إذا كان هناك ضرر على المرأة من الحمل ، فيكون مبدأ تحديد النسل مما يقره التشريع الاسلامى .

ولكن المتزمتين لا يقرون هذا المنطق ، ويتهمونه بالزندقة والمروق وفقد الثقة فى الله عز وجل ...

إن هذه المشكلات التى أصبحت أشبه بالمآسى ، لم ينمها فى البلاد الاسلامية ، إلا الاستخفاف بالتعاليم والتوجيهات الدينية الرشيدة ، والتزمت الفكرى والتنطع المزرى . .

فلو بنى الزواج على أساس إسلامى صحيح ، لما دب إلى الزوجين

الشقاق ، الذى إما أن يؤدى إلى الطلاق ، وإما أن يؤدى بالزوج إلى التزوج من أخرى ، وفى كلتا الحالين قلق يصيب الأسرة ويهدد استقرارها .

فتصور مثلا شابا يُزَوج بفتاة دون أن يراها ، أو يعرف شيئاً عن أخلاقها ، ثم يفاجأ بشبحها ساعة أن تزف إليه ، ويترتب على ذلك إذا رأى فيها غير ما كان يؤمل ، أن يصاب بعقدة نفسية مزمنة ، لا ترحمه ليلا أو نهاراً .

ويصر ولى أمر الفتاة على ألا تُرَى إلا فى ليلة زفافها ، ويحرم على فتاها حتى بعد عقد زواجها أن يشاهد شبحها ، لأن تقاليد الأسرة تحرم هذا ... تقاليد الأسرة تحرم أن يرى الشاب شريكة حياته حتى يقيم بناء أسرته على أساس من الاطمئنان ، وتقاليد الإسلام لا ترى مانعا من أن يرى الشاب خطيبته حتى يبنى بها واثقا منها مطمئنا إليها . .

عن المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة ، فقال النبى (ص) انظر اليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » رواه الخمسة الا أبا داود .

وعن جابر قال : سمعت النبى (ص) يقول : إذا خطب أحدكم المرأة فقدر أن يرى منها بعض ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل » — رواه أحمد ولكن تقاليد الأسرة فى هذا الصدد أعز لديهم من تقاليد الإسلام الذى يدعون التعصب له ، والغيرة عليه .

وهناك مأساة أخرى ، فإن كثيراً من الآباء يصرون على اعتبار بناتهم سلعا ، من حقهم أن يتصرفوا فيها كيفما شاءوا ، ومن حقهم أن يفرضوا عليهن الأزواج الذين يروقون لهم لا لهن ، وكأنهم هم الذين

يؤسسون مع الأزواج الأسر ، ويشاركونهم الحياة ، ولو تذوق هؤلاء الآباء شيئاً من تعاليم الإسلام وتوجيهاته ، لأدركوا أن رضا الفتاة شرط مقدس من شروط صحة الزواج ، ولأدركوا أن الإسلام لا يقر أن تكون الفتاة سلعة يتصرف فيها والدها كيفما أراد ، ويفرض عليها الزوج الذى يرضاه هو ، ولو كان وراء رضاه غرضا أو مطمعا .

قال رسول الله (ص) : « لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا البكر حتى تستأذن ، قالوا : يا رسول الله وكيف إذنها ، قال : أن تسكت » متفق عليه

وقال : (ص) : « الثّيب أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن فى نفسها ، وإذنها صماتها » - مسلم وغيره

هذا هو الإسلام يعترف بحق البنت فى اختيار شريك حياتها ، أو على الأقل فى الموافقة على شريك حياتها ، ولا يعتبرها سلعة فى يد وليها ، بل إن رسول الله — صلوات الله عليه — رد كل زواج حدث على رغم من الفتاة ولم تقره .

عن خنساء بنت خِدام الأنصارية ، أن أباها زوجها وهى ثيب ، فكرهت ذلك ، فأتت رسول الله (ص) فرد نكاحها » البخارى وغيره وعن ابن عباس ، أن جارية بكرا أتت رسول الله (ص) فذكرت أن أباها زوجها وهى كارهة فخيرها النبى » أحمد وغيره

وفى مسند الإمام أحمد وغيره ، عن ابن عمر قال : توفى عثمان بن مظعون ، وترك ابنة له من خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة الأوقصى ، وأوصى إلى أخيه قدامة بن مظعون ، قال عبدالله وهما خالاى ، فخطبت

إلى قدامة بن مظعون ابنة عثمان بن مظعون فزوجنيها ، ودخل المغيرة بن شعبة يعنى إلى أمها ، فأرغبها فى المال فحطت إليه ، وحطت الجارية إلى هوى أمها فأبتا حتى ارتفع أمرهما إلى رسول الله (ص) فقال قدامة : يا رسول الله : ابنة أخى أوصى بها إلىّ فزوجتها ابن عمتها ، فلم أقصر بها فى الصلاح ، ولا فى الكفاءة ، ولكنها امرأة حطت إلى هوى أمها ، قال . فقال رسول الله (ص) : هى يتيمة ولا تنكح إلا بإذنها ، قال : فانتزعت والله منى ، بعد أن ملكتها فزوجوها المغيرة بن شعبة . »

وهناك مأساة ثالثة من مآسى الجهل ، ألا وهى مسألة الكفاءة ، فإن الكثيرين يتعصبون لهذه الجهالة ، ويحاولون حصرها فى الحسب والنسب والجاه ، وهى ألوان لا يعترف بها الإسلام فى قليل أو كثير ، أما الكفاءة فى التقوى والدين — وهما الأصل — فلا قيمة لها فى نظر الطبقات الأرستقراطية . .

ولو أن المسلمين أقاموا للاستقامة والدين وزنا فى تزويج بناتهم ، والشباب المسلم أقام للخلق والدين وزنا عند ما يريد الزواج ، لكان الحال على غير ما نرى ، ولتلاشى الطلاق من المجتمع ، ولانقرضت فوضى التعدد التى بلغت القمة .

سئل أحد الأدباء المبرزين فى مصر — وقد توفيت له زوجة أجنبية فتزوج غيرها أجنبية أيضا — سئل عن حرصه على الزواج من الاجنبيات فأجاب : إن الأجنبية حين يتقدم اليها من يريد الزواج منها ، لاتسأل عن حسبه ولا نسبه ولا جاهه .

أما الشرقيات المسلمات ، فإن الحسب والنسب والجاه ... هى المؤهلات التى يجب أن يحملها كل من يريد الزواج منهن ..

وكم شهدت المحاكم الشرعية مخازى يندى لها الجبين عرقا ، من جراء دعاوى الطلاق بحجة عدم توفر الكفاءة بين الزوجين ، الكفاءة فى الحسب والنسب والجاه ، ولا زال شبح قضية المرحوم الشيخ على يوسف صاحب المؤيد ، الذى تزوج من كريمة البكرى نقيب الأشراف ، وطلقت منه فى ساحة المحكمة الشرعية ، بحجة عدم توفر الكفاءة فى النسب بينه وبين السادة الأشراف — لا زال شبح هذه القضية دليلا على الرجعية والتزمت باسم الإسلام .

« إن أكرمكم عند الله أتقاكم » هذه فلسفة الاسلام التى تعتبر الاستقامة والدين مقياسا للكفاءة ، والكفاءة التى حصروها فى الحسب والنسب ليس لها مكان فى الإسلام الصحيح المصفى .

والذين يتعصبون للكفاءة فى الحسب والنسب ، يتشدقون بحديث الدارقطنى « لا تنكحوا النساء الا من الأكفاء » وعلى اعتبار صحة الحديث ، فلم يعين الحسب والنسب فى كلمة الكفاءة ، ولسنا فى حاجة إلى هذا التوضيح ، اذا علمنا أن الحديث ضعيف لا أصل له ، ولا يحتج بمثله ، كما ذكر ذلك ابن عبد البر فى الجزء السادس من كتاب المغنى . .

وحتى تضعيف ابن عبد البر للحديث لسنا فى حاجة إليه ، لأن منطق الإسلام الذى أعلن المساواة من أول لحظة يضعفه ، والواقع يجعله واهيا لا يعتد بمثله .

فالنبى عليه السلام زوج مولاه زيدا ، ابنة عمته زينب بنت جحش ،

والقصة فى القرآن الكريم ، وخطب فاطمة بنت قيس من أشراف قريش: معاوية والمغيرة بن شعبة ، وأسامة بن زيد ، فاختار لها الرسول أسامة ، والحديث متفق عليه ، وقد زوج حذيفة (بنت أخيه هندا ابنة الوليد) لسالم وهو مولى لامرأة من الأنصار ، والحديث ذكره البخارى وقد كانت أخت عبد الرحمن بن عوف تحت بلال ، والحديث رواه الدارقطنى ، وقد قال عليه السلام فى حديث متفق عليه :

« من كانت عنده جارية فعلمها ، وأحسن تعليمها ، وأحسن إليها ، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران . .

هذه أدلة قاطعة ، لا تحتاج إلى جدل أو نقاش ، فهل يفقه أولئك المتعصبون . ؟

وهناك مأساة رابعة : مأساة التربية ، فنحن أبينا إلا أن نجارى الغرب فى السفور والاختلاط والمجون ، وهذه المخازى ، شجعت الشبان والشابات على الجرأة ، حتى ولو أدت إلى الانهيار الخلقى ، وكثيراً ما يكون هذا الانهيار دافعا إلى الزواج ، ومحال أن يكتب لأمثال هذا الزواج شىء من الاستقرار والنجاح .

وهذه المخازى : السفور والاختلاط والمجون . كثيرا ما تنتزع الزوج من زوجته ، كما تنتزع الزوجة من زوجها ، بوسائل التخدير والإغراء وغيرهما ، ولن تكون النتيجة إلا انهيار الأسر بمعول الطلاق .

* * *

إن مشكلات الطلاق وتعدد الزوجات وتحديد النسل ، مشكلات مستعصية يهدد خطرها المجتمعات فى سائر بلاد المسلمين ، دون أن تسترعى أنظار علماء الدين ، أو تثير أفكارهم واهتمامهم ، وحين فكر دعاة

الإصلاح فى إيجاد علاج لهذه المشكلات ، ثارت ثائرتهم باسم الدفاع عن التشريع الإسلامى ... وكان أكرم لهم وللإسلام ، لو أنهم قدموا اقتراحات يعتمدها الإسلام لتدارك هذا الخطر ، قبل أن يتقدم دعاة الإصلاح بآرائهم للمسئولين وليجدوا منهم كل عناية .

حين دعا هؤلاء الدعاة إلى تقييد الطلاق وتعدد الزوجات إلا بإذن من القاضى ، ثارت ثائرة الغيورين على الإسلام ، وقالوا هذا كفر ومروق من الإسلام ، ولو كان فى هذا التقييد صون للأسر من الانهيار وللطفولة من التشرد ، وتهذيب للمستخفين برخصة الاسلام فى الطلاق وتعدد الزوجات .

وإذا قيل لهم : إن الزواج وتعدد الزوجات رخصة أساء الجهلة استعمالها ، فيجب أن يُسلَبوها ويحرموها ولا علاج إلا بذلك ، قالوا لك : يجب أن يهذب الجهلة ويعلموا ، حتى يحسنوا استعمال هاتين الرخصتين ، ولو كانوا يقَرون على منطقهم ، لما كان هناك داع إلى وجود الحدود ، اكتفاء بعظة السارق حتى لا يسرق ، والزانى حتى لا يزنى ...

وحين أثيرت قضية تحديد النسل ، ثارت ثائرة الغيورين على الإسلام أيضا ، وقالوا هذا كفر ... هذا إلحاد ، فإذا طالبتهم بالعلاج الذى يرضونه قالوا : وفى السماء رزقكم وما توعدون ، ولو كانوا يُقَرون على منطقهم ، لما كان هناك داع إلى أن يسعى الناس ، أو يكدحوا فى الأرض بحثا وراء الرزق : ولوقف دولاب العمل ، وتعطلت سنن الحياة .

ولله فى خلقه شؤون . !

الشعوب ... لا الحكومات

الشعوب ... لا الحكومات

المسلمون فى معظم البلاد الإسلامية ، أصبحوا لا يثقون كثيراً فى علماء الدين ، لا سيما فى الأعوام الأخيرة ، بعد أن أصبح هؤلاء العلماء يسخرون الاسلام لمصلحة الحكومات والاستعمار ، بدل أن يجعلوه وسيلة لإنقاذ الشعوب والنهوض بها .

والذى لا ريب فيه أن مكانة علماء الدين جزء من مكانة الإسلام نفسه ، والتقدير الذى ينالونه جزء من تقدير الإسلام نفسه ، ولن يكون للإسلام المكانة والتقدير اللذان يليقان به ، إلا إذا كان لعلمائه مكانة وتقدير فى نظر المسلمين .

ونحن لا نؤمن « برجال الدين » ولا بما يسمونهم « علماء الدين » لأننا نعتبر كل مسلم « رجل دين » وكل متفقه « عالما دينيا » فلا يقر الاسلام علماء دينيين رسميين ، ولا رجالا دينيين رسميين ، بل يجيز لكل مسلم — مهما كان شأنه — أن يتحدث باسم الاسلام ما دامت له القدرة على التحدث عنه .

نحن مضطرون إلى أن نتحدث عن وضع لاحيلة لنا فيه ، والمسلمون مضطرون أيضا إلى أن يحاسبوا علماء الدين حسابا عسيراً لا رحمة فيه ، ومضطرون أيضاً إلى أن تشرئب أعناقهم إليهم كلما ادلهمت الخطوب وفدحت الأمور ؛ لا لينتظروا منهم خيراً ، وإنما ليسجلوا عليهم كل ما يهبط بأقدارهم ويحط من منزلتهم .

فى مصر مثلا علماء الدين ، وهم أكثر من أن يحصوا أو يعدوا ، وقد

عاصروا عهد الأسرة العلوية منذ أن تربع كبيرها على العرش ، إلى أن طرد آخر ملك عربيد منها ...

وعهد هذه الأسرة يعتبر من أظلم العهود التى شهدتها مصر ، وأشدها ظلما وظلاما عهد « فاروق » ، فهل أثبت علماء الدين فى يوم من الأيام أنهم جديرون بذرة من الثقة والتقدير ... ؟

كانت دروس شيوخ الأزهر وكبار رجاله تمتزج بالملق البذىء ، والنفاق الرخيص للعربيد المتربع على العرش ، وكانت أقل العبارات ملقا ونفاقا هى التى تصفه « بالملك الصالح » ناصر الإسلام ورافع لوائه ، ومعلى كلمته ...

وإليك نموذجين من ملق شيوخ الأزهر الموقرين :

« .:. أصبح الناس فى الخافقين ولا حديث لهم إلا أنعم الفاروق وأياديه البيضاء على العلم والدين ... أما رعاية جلالته للدين وحرصه على نشره فإنه — شهد الله — أحيا سنن السلف الصالح فى الإقبال على العلم والدين ، ومصر كلها بل والعالم الإسلامى أجمع يشهد ...

« إن مصر فى هذا اليوم السعيد لتباهى الأمم بما حباها الله من فضلك وعنايتك وفيض نوالك ، فقد سطرت بجليل أعمالك وعظيم مآثرك ، صفحة خالدة فى تاريخها ، هى فى الحق أبهى صفحاتها وأجلها قدراً ...!!

(من حديث الشيخ الشناوى شيخ الجامع الأزهر فى احتفال الأزهر بعيد الميلاد الملكى عام ١٩٤٩)

« وحق للأمة المصرية الكريمة أن تحتفل بأعياد الفاروق العظيم ، وأن تشاركه الفرح بما أتاه الله من نعمته ، وأن تحمد الله وتشكر له على أن ربط عزها ومجدها بجلالة الملك السعيد الموفق ... »

(من حديث الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الأزهر فى احتفاله بعيد الميلاد الملكى عام ١٩٥٠) .

ولم يكن بعض أساتذة الجامعات الأزهرية أقل ملقا من شيوخ الأزهر ؛ لا سيما الشعراء منهم ، وإليك نموذجا لأستاذ بكلية اللغة العربية :

ملك تجلى الله فى إبداعه ... العلم من أركانه والمنبر
والدين والدنيا لديه تلاقيا ... فكلاهما فيه ربيع مزهر

ويزداد عجبك أو ألمك ، إذا علمت أن الاحتفال بذكرى مولد النبى كان بدعة فى نظر الأزهر ... أما السنة الحسنة ، فهى الاحتفال بمولد الفاروق الذى حرص الأزهر على الاحتفال به كل عام ..!

لقد ظل الملك العربيد فى « دوفيل » أسابيع يصيف مع عشرات من الراقصات العالميات ، فكانت تفد إليه البرقيات من وكيل الأزهر ، وباسم الأزهر — طبعا — تتمنى له طيب الإقامة وسلامة الوصول ...

* * *

كنت أتحدث مع بعضهم قائلا : إن الملك يستطيع أن يفرض علينا السكوت ، ولكنه لا يستطيع أن يفرض علينا أن ننافق ، والذين قدر لهم أن يسكتوا ارتكبوا أخف الجريمتين ، أما الذين قدر لهم أن ينافقوا فقد ارتكبوا الجريمتين : جريمة السكوت عن الأوضاع الفاسدة ، وجريمة النفاق .

ولم يكن هناك جواب اللهم إلا هز الرءوس ...

ظل جماعة منهم لم يقبلوا أن يلوثوا صفحتهم بكلمة نفاق للعرش أو الجالس عليه ، ولم يستطع العرش ولا الجالس عليه أن يمنعا عنهم لقمة العيش ،أو ينفياهم إلى بلاد واق الواق .

والذين نافقوا منهم لم يُدفعوا إلى النفاق دفعا ، بل ولم يوجه إليهم شفويا ولا تحريريا أن نافقوا ، ولكنهم هم الذين سعوا زحفا على

بطونهم، ليقدموا كرامتهم وكرامة الدين معها، قرباناً إلى العرش والجالس على العرش.

ونحن لم نكن نملك أن نفرض عليهم الكرامة فرضا، لأن الكرامة إحساس ينمو فى النفس، ولا يفرض عليها، وما كنا نملكه هو أن نحول دون استغلالهم الدين، وتسخيرهم الاسلام لأهواء العرش والحكومات وشركات الاحتكار، والرأسمالية القذرة والأقطاعية الجائرة.

ولكن ماحيلتنا والرأى العام الاسلامى يومئذ كان يغط فى نومه، ويأبى أن يتخلى عن صمت القبور؟

إن لون الحكم فى معظم دول المسلمين ديكتاتورى غاشم، يستعبد الشعوب المسلمة استعباد السادة للرقيق، ويستغلها استغلال الرعاة لقطعان الغنم، ويفرض هذا الحكم الجائر على الشعوب المسلمة الكبت والسكينة والانزواء... فهل رأينا ثورة لعلماء الدين ضد أى لون من الحكم الجائر فى دولة مسلمة؟... اللهم.. لا وألف لا...

علماء الدين فى بلاد المسلمين لهم القدرة على أن يجعلوا الأسلام مطية لرغبات الحكومات، وأن يجعلوا هذا الدين الضائع ملبياً لكل اتجاهات هذه الحكومات سواء كانت خيراً أم شراً...

وعلماء الدين مثلا فى هذه الأيام يكثرون القول باسم الإسلام، عن الفدائية والتحرير، والحرس الوطنى ومشروع الشجرة... وما إلى ذلك من المعانى التى لم يقدر لها أن تبرز إلى حيز الوجود إلا بعد حركة الجيش..

وأين كان الإسلام من هذه المعانى العظيمة قبل حركة الجيش؟ ولا يمكن أن نسأل علماء الدين الموقرين لأنهم كما نعلم:

يريدون حيث يقدر لهم أن يريدوا . . !

وعلى كل فعلماء الدين مستعدون لأن يستجيبوا للمعانى الجديدة ، التى سوف تشرف على إبرازها حـركة الجيش ، وفى الإسلام متسع لكل معنى . . .

وخطباء المساجد مستعدون لأن يذيعوا على الناس مايطلب منهم ، ولكنهم غير مستعدين لأن يشيعوا المعانى الأسلامية من تلقاء أنفسهم ، وبوحى من مهمتهم .

* * *

فى العهد الإرهابى الذى أشاعه فى مصر « دولة الباشا السابق ابراهيم عبد الهادى، خلال محنة الإخوان المسلمين ، استطاع كبار المشايخ وصغارهم أن يسخروا الاسلام لخدمة العهد الإرهابى المنقرض ، وفى الفترة التى صودر الإسلام فى مصر مصادرة نهائية ، وكتب على الرأى العام أن يعلن تبرءه من الاسلام ، لم يستطع هؤلاء المشايخ أن يتأخروا لحظة عن إعلان رضائهم عن سجن الاخوان ، وتعذيبهم وتشريد أسرهم ، والتنكيل بهم تنكيلا لم يسبق له مثيل .

وحين قتل النقراشى أخرجت هيئة كبار العلماء بيانا المسلمين . تندد فيه بقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق . .

وحين اغتيل الشهيد الأعزل « حسن البنا » اغتيالا دنيئاً . التزمت الهيئة الموقرة الصمت ، ووضع أعضاؤها آذانهم داخل عمائمهم ... وكفى

فى هذه الفترة الارهابية القاسية ، سافر فضيلة المفتى (الأكبر) مفتى الديار المصرية الشيخ حسنين محمـد مخلوف إلى أقاصى الصعيد ، وفى أشد أيام الصيف حراً ـ لا احتجاجاً على الارهاب المسلطة سيوفه على

أعناق وألسنة الشعب المصرى المكبوت ، ولا احتجاجاً على اضطهاد الاسلام الذى كتب عليه أن يصادر فى صدور المسلمين ، ولا على مايقع على جماعة الاخوان المسلمين فى قاع السجون ، من ألوان التعذيب التى لم يشهد مثيلها أحط العصور الوسطى همجية . .

وإنما سافر إلى الصعيد ليطلع على الرأى العام من هناك ، بيان طويل عريض عن أحد شيوخ الطرق الصوفية ، الذى ادعى أنه المهدى المنتظر ، وراح يفند دجله وشعوذته ، واستطاع أن يمد الصحافة بمادة غزيرة عن مدعى المهدية هذا ، ظنا كفيلة بإلهاء الرأى العام وشغله عن شبح الارهاب .

ويظهر أن كبار علماء الدين أرادوا أن يشايعوا فضيلة المفتى الأكبر ، فى استغلال الفرص لمساندة الحكومة فى إرهابها ، فما كادت تظهر قصة (توحيدة) أم المهدى .. حتى راحوا يدلون بالأحاديث المستفيضة فى هذا الميدان ، مفندين مزاعمها ، ومنددين بشعوذتها ، حتى لايكونوا أقل قدراً من فضيلة المفتى الأكبر فى إلهاء الرأى العام .

وحين حلت حكومة النقراشى بمصر ، جماعة الاخوان المسلمين ، بأمر سادتها الانجليز والأمريكان ، اختفت أشباح علماء الدين التى لم تنقطع يوماً واحداً عن المركز العام للجماعة ، وليتها اختفت لتلتزم جحورها خشية أن يصيبها رشاش من إرهاب الحكومة ولكنها برزت فى ميادين أخرى ، تكتب وتخطب ، منددة بخروج الجماعة عن هدفها الدينى ، واتخاذها الدين وسيلة لأغراضها السياسية .

أما شقيق المراغى شيخ الاسلام الأسبق ، حضرة مدير عام المساجد بوزارة الأوقاف يومئذ ، فقد كانت له صولات وجولات ، لم تتخط حدود بيوت الله عز وجل .

كان يجتمع بخطباء المساجد ويوهمهم بأن هناك مسابقة سوف تجرى لاختيار أحسن الخطب وأقواها ، وحتى لايجهـــد الخطباء أذهانهم فى اختيار الموضوعات المقصودة ، فقد كان الشيخ ييسر لهم مشقة التفكير ، ويوحى إليهم ببعض الآيات القرآنية ، التى تتفق مع أهواء الحكومة الإرهابية ، ومنها :

« قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم صادقين . . »

أما قوله تعالى : إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً ، أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب مقيم »

فلم يكن ليسمع المسلمون بهذه الآية إلا فى محنة الاخوان المسلمين ، حين كان علماء الدين يرددونها فى الاذاعة المصرية ، ومن فوق منبر رسول الله ، مصوبة إلى الاخوان المسلمين دعاة الحق والحرية والقوة . . .

وقد لايعلم الكثير من الشعب المصرى أن أمثال هذه الآيات الكريمة :

« قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة . »

« إن فرعون علا فى الأرض »

« إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم . . »

هذه الآيات وأمثالها كانت مختفية تماماً من كتاب الله عزوجل ، خلال العهد البائد بمصر ، لأنه لم يكن من الذوق ولا من اللياقة أن تظهر هذه الآيات فى عهد الملك (الصالح) السابق ، ولم يكد يطرد الملك (الصالح) من مصر ، حتى قدر لأمثال هذه الآيات أن تتنسم نسمات الحياة . . !

ويوم أن ولد التعس « أحمد فؤاد » نجل ملك مصر السابق فاروق ،

كتب فضيلة المفتى (الأكبر) ، الشيخ حسنين مخلوف فى إحدى الجرائد اليومية يهنىء العالم الأسلام بولى العهد ، وأكد فى حديثه المنشور ، أن الأسلام يقر الملك الوراثى . . .

واضطربت العمائم الضخام يومئذ ، ولكن الألسنة انعقدت داخل أفواهها ، واكتفى أصحاب العمائم بأضعف الإيمان .

وعبقرية المفتى الأكبر لم تتركز داخل حـــدود الديار المصرية التى تشرفت بإسناد منصب إفتائها إليه ، بل استطاعت أن تنفذ إلى داخل حدود بلاد الحجاز ، ففى العام الماضى قصد فضيلته الأرض الطيبة للعمرة ، ولم يكد يعود من هنـاك حتى راح يكتب فى إحدى الصحف اليومية ، متحدثا عن الملك عبد العزيز آل سعود الذى أعاد « فعلا » عهد عمر بن الخطاب ، ولفضيلته عذره ، فإنه هناك (أى بالأرض الطيبـــة) لم ير إلا وجوه الأمراء المترفين والحكام المحظوظين ، ولم يقدر لفضيلته أن يغادر السيارة « الكاديلاك » التى لزمته منذ اللحظة الأولى لتشريفه الأرض الطيبة ، إلى اللحظة الأخيرة التى حرمت بعدها بركته ، لم يُقدّر له أن يغادر السيارة « الكاديلاك » حتى يرى أشباح الشعب الهزيلة ، التى تنطق بالجوع والحرمان ، وحتى يرى عشرات الأيدى تتنـازع الفتات ، وعشرات الألسنة تنظف العلب الفارغة ، خلف قصور السيادة من الأمراء وغير الأمراء .

إن المعروف عن أمريكا أنها أعدى أعداء الشيوعية . وهى لا تخشى على بلادها الشيوعية ، وإنما تخشاها على دول الشرق الإسلامى ، هذا الشرق الذى يجب أن يظل إلى الأبد سوقاً رائجة لتجارتها ، وبقرة حلوبا لمطامعها ، ولذلك فهى حريصة كل الحرص على أن تحول بين الشيوعية وبين الشعوب الشرقية ، بقدر ما تستطيع من جهد ، وهى لا تكتفى

بتسخير حكومات الشرق الخاضعة لنفوذها فى اضطهاد الشيوعية اضطهاداً مريراً ، وإنما تحاول الاستعانة بالإسلام ليقوم بدوره فى مكافحة الشيوعية وأخطارها ، ولا أعتقد أن أمريكا تلاقى ذرة من الصعوبة فى تسخير الإسلام ، لأن علماء الدين فى كل بلد - على وجه التقريب - خاضعون لإرادة حكوماتهم ، وهم من تلقاء أنفسهم لم يألوا — ولن يألوا — جهداً فى استعداء الإسلام على هذه الشيوعية ، ولم يحدث فى الحقبة الأخيرة من تاريخ مصر ، أن تولى عالم دينى منصباً رسمياً مهماً فى الدولة ، دون أن يعلن رأى الاسلام فى الشيوعية ، وأنها كفر وزندقة وإلحاد .

ويعلم الله أن علماء الدين هؤلاء ، لايكادون يفقهون ذرة واحدة عن الشيوعية ، وأن معلوماتهم عنها لاتتعدى نشرات السفارات الأمريكية فى الشرق . . !

إنا لسنا شيوعيين ، ولن نكون فى يوم من الأيام شيوعيين . لأننا مسلمون ، ولن نتحول عن الاسلام لحظة واحدة : والذى يفعم صدورنا ألما ، أن يسخر الأسلام لأهواء أمريكا ... أمريكا التى قامت بدور القابلة فى اللقيط الاسرائيلى ، والتى خذلت مصر فى كفاحها ضد انجلترا ، والتى أيدت — ولا زالت تؤيد — جرائم فرنسا فى شمالى أفريقيا الاسلامى .

* * *

استعان الاستعمار فى الشرق الاسلامى بالاسلام ، وصدرت كثير من فتاوى العلماء ، بأن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس . . . لا جهاد الاحتلال الذى يمتص دماء المسلمين .

واستعان الأقطاع فى الشرق الاسلامى فى الشرق بالاسلام ، وصدرت

فتاوى علماء الدين بتحريم تحديد الملكية والاشتراكية التى نادى بها الصحابى الجليل أبى ذر الغفارى . . .

حتى الشركات الأمريكية الاحتكارية فى مصر والشرق ، استعانت بالإسلام يوما ، وأقرب الأمثلة إلى أذهاننا ، شراب « البيبسى كولا » ، فقد أشاع بعض الأطباء أن بهذا الشراب مادة من لحم الخنزير ، وغيرها مخدرة ، وسرعان ماهبط الإقبال على هذا الشراب حتى أوشكت الشركة أن تغلق أبوابها ..

ولكن الشركة « الموقرة » لم يفتها أن تعد لكل أمر عدته ، ولم تختر نجل مفتى الديار المصرية « الشيخ حسنين مخلوف » موظفا كبيرا ، إلا لتلجأ إلى والده فى يوم من الأيام ...

وشمر المفتى عن قريحته فأفتى بحل هذا الشراب ، وتقبل الرأى العام الفتوى بالسخرية الصامتة والامتعاض الرزين ، وهو لا يملك غيرهما ...

وكم فى الجعبة من مهازل ومهازل ...!

* * *

هؤلاء الناس اعتبروا الإسلام كمية مهملة ، قدر عليها أن تركن فوق الأرفف ، إلى أن يحتاج اليها .

كأنهم لم يقدر عليهم بعد أن يدركوا ويفقهوا أن الاسلام معان حية ، يجب أن تنشر فى كل زمان ومكان ، ومن أجل الوطن والشعوب لا من أجل عيون الحكومات وأصحاب السلطان .

عندما اتخذت ثورة الجيش شعارا لها : الاتحاد والنظام والعمل ، هرع علماء الدين يتحدثون عن هذا الشعار فى الاسلام ، وأوشكوا أن يضغطوا على كل آية قرآنية ، وعلى كل حديث نبوى ، لتكون الآيات

والأحاديث كلها ، فى خدمة هذا الشعار الجديد ...

ألم يكن الاسلام مستعدا قبل حركة الجيش ، ليخرج لنا من الكتاب والسنة مايرفع من قدر هذا الشعار الموقر الجليل ..؟

ولكن علماء الدين يريدون حيث يُقدَّر لهم أن يريدوا ..!

* * *

كان فى العصور الإسلامية الأولى علماء دين ، ولكن لم تكن كرامتهم على ألسنتهم يبذلونها فى أى وقت ، ولا فوق أيديهم ، يقذفون بها متى شاءوا — بل كانت ممتزجة بأرواحهم وقلوبهم ، يضحون بأرواحهم ، ولا يضحون بها ، ويبذلون دماءهم ، ولا يبذلون ذرة واحدة منها .

وكان فى العصور الإسلامية الأولى ملوك وحكام بلغوا القمة من الجبروت والسطوة ، ولكنهم لم يستطيعوا يوما أن يسيطروا على علماء الدين كلهم ، ليسخروا دين الله لأهوائهم ورغباتهم .

غاضب العز بن عبد السلام سلطان دمشق (الصالح اسماعيل) لأنه استعان بالإفرنج ، ومنحهم مدينة صيداء وقلعة الشقيف ، فأنكر عليه الشيخ ذلك ، وترك الدعاء له فى الخطبة ، فغضب السلطان عليه ، فقرر الهجرة إلى مصر ، وفى منتصف الطريق ، وصل إليه رسول السلطان يرجوه العودة إلى دمشق ، وقال له الرسول ، ما عليك إلا أن تقبل يد السلطان ، وتعود المياه إلى مجاريها .

فأجابه الشيخ بإباء :

يا مسكين : والله ما أرضاه أن يقبل يدى ، فضلا عن أن أقبل يده ... أنتم فى واد ، وأنا فى واد ، والحمد لله الذى عافانى مما ابتلاكم به .

ولقى سلطان مصر الصالح أيوب ، فسأله أحد تلاميذه عن لقائه السلطان ، فأجاب :

« يا بنى استحضرت هيبة الله ، فصار السلطان قدامى كالقط . ! »

أفتى مالك أهل المدينة بمبايعة ابراهيم ، بعد أن بايعوا المنصور ، وقال إنكم بايعتموه مكرهين ، وليس على مكره يمين .

وبعد ذهاب دولة بنى أمية ، طُلب من الأوزاعى رضى الله عنه ، أن يفتى بحل دماء بنى أمية ، فأجاب بأن دماءهم حرام ، والسيف مصلت فوق رأسه . .

إن الفرق بين علماء الدين فى العصور السابقة ، وبين علماء الدين فى أيامنا كبير ، فأولئك كانوا يطلبون بدينهم رضا الله والآخرة ، وهؤلاء يطلبون بدينهم الزلفى للحكومات والدنيا . .

امتنع أبو حنيفة عن تولى القضاء للخليفة المنصور ، وأوذى فى سبيل ذلك حتى مات ، وامتنع غيره ، لأنهم كانوا يرون أن الإمكانيات لا تتوفر لهم فى إقامة العدل كما يرضاه الله تعالى .

أما علماء الدين فى أيامنا هذه ... فإنهم يتكالبون على المناصب الرسمية ، وهم يعلمون أنهم يدفعون الثمن من دينهم وضمائرهم وكراماتهم ...!!

وبعـــد . . .

فإن الاسلام أصيل فى نهضته ، خالص فى جوهره ، تزداد العقول به ثقافة ، والأفكار رقيا ، ولا تزيده العقول ثقافة على ثقافته ، ولا الأفكار رقيا على رقيه . . ونحن — حاشانا — أن ندعى تصفية الإسلام من زيف طبيعى فى أصوله ، أو غش متأصل فى معانيه ، ولكن الذى نحاوله هو تصفية الإسلام من زيف ألحقه به المتزمتون ، وغش ألصقه به الكائدون من أعداء نهضته .

ونحن حين نحاول هذه التصفية ، لابد لنا من عقول ناضرة ، وأفكار ثاقبة ، ولا تكفى هذه العقول والأفكار ، إلا إذا كان بجانبها قلوب تفيض غيرة وإخلاصا وتواضعا ، ونزاهة وعدالة . .

وبعد هذا وذاك ، لا بد لنا من جبهات تعرض الاسلام عرضاً جيداً ، تجتذب به الشـــبيبة المثقفة ، وتحرك به العقول الراكدة ، وتضىء به الافكار المظلمة . .

والعقول الناضرة والأفكار الثاقبة التى نريدها ، هى المتحررة من التزمت ، الخالصة من الجمود ، البريئة من الهوس .

تفقه أن الإسلام دين يسير مع الزمن المعتدل حيثما سار ، وتؤيد التطور السليم حيثما كان ، وتفقه أن الاسلام دين رقى ومدنية ، ودين مرونة ويسر ، وأن تشريعه السمح لم يوضع إلا لمصلحة البشر ، وحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله .

والقلوب التى نريدها ، هى الممتزجة بالغيرة المعتدلة — لا الثورة الطائشة ، وبالإخلاص المتزن — لا الغباوة المفزعة ، وبالتواضع الكريم — لا التماوت المصطنع .

ويجب أن تفقه هذه القلوب وتلك العقول ... أن الإسلام ليس بضاعة محتكرة ، يهيمن عليها صنف من الناس ، لأنه ملك المسلمين جميعا ، لافرق بين عالمهم وجاهلهم ، ولا بين شرقيهم وغربيهم — أما كلمة «رجال الدين» فلا أصل لها فى الإسلام . لأنها موروثة عن الكهنوتية التى يسخر منها الإسلام .

* * *

إذا وجدنا القلوب التى تفقه ، والأفكار التى تغزو — كان من اليسير أن ينشر دين الله الخالص ، الذى رضيه الله لعباده ، ليأخذ بيد الأمة الاسلامية من الحضيض ، وينتشلها من الوحل ، ويعدها لتكون من جديد خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ..

والله أكبر ... ولله الحمد

والله أكبر ... والعزة للإسلام

للمؤلف :

١ - الإسلام والأمن الدولى :

الكتاب الثائر الذى سبق ثورة الجيش المصرى ، فى التنديد بالاقطاع والملك الورائى والحكم الديكتاتورى

الكتاب الذى لم يقدر له أن يظهر فى النور إلا بعد طرد الملك السابق من مصر

الثمن ١٥ قرشاً

---

٢ - الإسلام حائر بين أهله :

الكتاب الذى صادره العهد البائد ، وأفرج عنه القضاء العادل

الكتاب الذى اتهم بالعطف على الشيوعية ، والتنديد بملوك وأمراء الدول المسلمة ، وحض الشعوب على الثورة .

نفدت طبعاته كلها منذ أكثر من عامين ، وحالت ظروف الرقابة دون طبعه .

قريباً جـــداً الثمن ١٠ قروش

---

٣ - الإسلام وجهاً لوجه :

الكتاب الذى وضح عقيدة الاسلام الصحيح :

ديناً ودولة ومصحفاً وسيفاً

نفدت طبعته الأولى فى أيام .

الطبعة الثانية قريباً بعد أن زال كابوس الرقابة .

الثمن ١٠ قروش

مراجع الكتاب

التفاسير :

المنار - ابن كثير - الطبرى - القرطبى

الحديث :

الكتب الستة - اللؤلؤ والمرجان - نيل الأوطار

السيرة :

إمتاع الأسماع - ابن هشام - زاد المعاد - إعلام الموقعين

الفقه :

المغنى - الدر المختار - ابن عابدين - الهداية - البحر على الكنز

التصوف :

إحياء علوم الدين - الفتوحات المكية - قوت القلوب - حلية الأولياء

كتب أخرى :

الحياة الروحية فى الاسلام :	للدكتور محمد مصطفى حلمى
المهدى والمهدوية :	للدكتور أحمد أمين
اجتهاد الرسول :	لعبد الجليل عيسى
التصوف الاسلامى العربى :	لعبد اللطيف الطيباوى
الاسلام والحضارة العربية :	لمحمد كرد على
لماذا تأخر المسلمون ؟ :	للأمير شكيب إرسلان
رسائل الإصلاح :	للسيد الخضر حسين

موضوعات الكتاب

٩ — تمهيد :

هذا الانهيار ـ الاسلام الرخيص ـ المعلومات المشوهة .

١٣ - هذه المعوقات :

الجمود الفكرى ـ التزمت المصطنع ـ الهوس الدينى ـ الاحتكار .

٣٧ — هذا الصداع :

المعارك الهزيلة ـ التصوف ـ الجماعات الدينية

٦٧ — أوهام :

الشفاعة : المسيح الدجال ـ نزول المسيح ـ المهدى المنتظر

٧٩ — فى ميدان الاصلاح :

الاصلاح الدينى : تفاسير القرآن ـ الحديث النبوى ـ الفقه ، بيوت الله .

الاصلاح الاجتماعى : الطلاق ـ تعدد الزوجات ـ تحديد النسل

١٢٧ — الشعوب . . لا الحكومات :

297.04:Sa18iA:c.1
السمان ،محمد عبد الله
الاسلام المصفى
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01005865

American University of Beirut

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866

297.04
Sa18iA

General Library